
اجاتا كريستي
جريمة في الصحراء
المكتبة الثقافية
بيروت - لبنان
Bibliotheca Alexandrina
0140949

جريمة في الصحراء

أجاثا كريستي

جريمة في الصحراء

تعريب
عمر عبد العزيز أمين

المكتبة الثقافية
بيروت

جريمة في الصحراء

– ١ –

ـ ولهذا كله يجب أن تقتل !

سمع هير كيول بوارو هذه العبارة وهو يضع يديه على مصراعي النافذة ليغلقها .. وتوقف لحظة ثم هز كتفيه ، وأغلق النافذة ، لأنه نشأ على الاعتقاد بأن هواء الليل خارج البيوت يجب ان يبقى خارجها لأنه ليس هناك ما هو أخطر منه على الصحة أثناء النوم .

ـ ولهذا كله يجب ان تقتل !

كلمات عجيبة ! وأعجب منها ان تصل أذنيه ، في أول ليلة له بمدينة القدس .

وقال لنفسه وهو ينصرف عن النافذة :

ـ يبدو انني لا بد ان أسمع او أرى شيئاً ، يذكرني بالجريمة والمجرمين أينما ذهبت .

ومرة أخرى هز بوارو رأسه وهو يستعيد في ذاكرته تلك العبارة التي سمعها عند إغلاق النافذة :

- ولهذا كله يجب أن تقتل !

ترى أهي عبارة كان يقرأها أحد من رواية بوليسية ، أم عبارة حوار في مسرحية !

وابتسم وقال لنفسه :

- ربما أحتاج يوماً إلى تذكر هذه الكلمات عندما تتحول إلى حقائق رهيبة !

وتذكر نبرات صوت الناطق بها نبرات شاب ثائر النفس متوتر الأعصاب وقال بوارو لنفسه وهو يطفيء المصباح ويأوي إلى فراشه :

- من المؤكد اني سأتعرف على صاحب هذا الصوت إذا رأيته وسمعته يتكلم مرة أخرى .

* * *

وكان صاحب الصوت هو ريموند بونتون . . شاب في نحو الخامسة والعشرين ، وكان واقفاً إلى نافذة الغرفة المجاورة لغرفة بوارو بفندق الملك سليمان بمدينة القدس . وكانت تقف بجانبه شقيقته كارول ، وهي شابة في نحو الثالثة والعشرين من عمرها ، وكانا يتبادلان الحديث في سكون الليل وقد عاد ريموند وكرر هذه العبارة :

- ولهذا كله يجب أن تقتل !

وتململت كارول قليلاً ، ثم تمتمت بصوت متهدج :

- هذا مخيف !

وقال ريموند بعنف :

- لا يمكن أن يستمر الحال هكذا . . يجب ان نفعل شيئاً ، وليس أمامنا شيء آخر يمكن أن نفعله !

- لو كان في مقدورنا أن نهرب . .

ـ كارول !. انك تعلمين اننا لا نستطيع

ـ نعم يا ريموند .. إنني أعلم . أعلم هذا .

وأرسل ريموند ضحكة مريرة وقال .

ـ إن الناس يظنون اننا مجانين لأننا عاجزون عن الهرب من حياتنا هذه .

فقالت كارول ببطء :

ـ لعلنا مجانين حقاً !

ـ سوف نكون مجانين فعلا إذا استمرت حياتنا على هذا النحو مدة أخرى . ولعل من بوادر جنوننا اننا الآن ندبر جريمة لقتل أمنا .

فهتفت كارول قائلة بحدة :

ـ لا .. لا .. إنها ليست أمنا ..

ـ صدقت .. إن زوجة الأب لا يمكن ان تكون أماً .. مهما تظاهرت بذلك ..

ـ أردف قائلا بصوت ثابت :

ـ هل توافقين يا كارول ؟

ـ نعم ، أعتقد ان موتها ضرورة لا بد منها .

ثم انفجرت قائلة بصوت ينم عن ثورتها النفسية :

ـ إنها مجنونة ، إني واثقة من جنونها . ولو كانت عاقلة لما تلذذت بتعذيبنا على هذا النحو لقد عشنا سنوات وسنوات ونحن نقول ان هذا لا يمكن أن يدوم ، لكنه دائم . وقلنا كثيراً انها سوف تموت يوماً ، لكنها لم تمت ، ولا أعتقد انها ستموت إلا .

فأكمل لها ريموند العبارة بقوله :

ـ إلا إذا قتلناها ..

ـ نعم .

فضم ريموند قبضتي يديه قائلا :

– لا بد ان يكون قاتلها واحداً منا ، أنت أو أنا . إننا لا نستطيع أن نعتمد على شقيقنا لينوكس أو زوجته نادين . كما اننا لا نستطيع الاعتماد على أختنا الصغرى جيني ..

فارتعدت كارول وقالت :

– يا المسكينة جيني ، لشد ما انا خائفة عليها ..

– نعم ، إن حالتها تزداد سوءاً . وهذا ما يدعونا إلى الاسراع في القيام بعمل حاسم .

والتفتت كارول نحوه وقالت فجأة :

– الذي يدهشني يا ريموند انك تغيرت فجأة في يوم وليلة ! ما الذي جعلك تصر على الخلاص من هذه الشيطانة الآن ؟

– لا شيء يا كارول .. لكني لم أعد أحتمل ..

– أم لعلها تلك الفتاة الحسناء التي التقيت بها في القطار .

– لا .. طبعاً لا ، ما شأن تلك الفتاة بنا ، لنعد إلى موضوعنا

– تمضي إلى خطتك ! هل أنت واثق من إحكامها ؟

فقال ريموند بصوت كله ثقة :

– نعم وسأخبرك بتفاصيلها .

ثم اقترب برأسه من رأسها وراح يهمس في أذنها

- ٢ -

وقفت المس سارة كنج – الطبيبة الحديثة التخرج – بجوار مائدة الكتابة في قاعة المكتبة بفندق الملك سليمان بالقدس . وكان جبينها مقطباً ، والقلق يبدو في عينيها وهي تقلب صفحات بعض المجلات .

ودخل رجل فرنسي في منتصف العمر ، طويل القامة ، وراح يراقبها لحظة قبل ان يمضي إلى الجانب المواجه لها عبر المائدة . فلما التقت عيونهما إبتسمت سارة قليلاً وقد تذكرت انه نفس الرجل الذي ساعدها في استدعـــاء بعض الحمالين عند سفرها من القاهرة .

وقال لها الرجل الفرنسي رداً على ابتسامتها :

- هل أعجبتك مدينة القدس ؟

– إلى حد ما .

ثم ابتسمت وقالت :

– تصور ، إنهم طردوني من أحد الأماكن المقدسة ، لأن ذراعي عاريتين ! يبدو ان الله في رأيهم ، لا يحب الأذرع العارية ، رغم انه خالقها !

فضحك الفرنسي وقال :

كنت سأطلب بعض القهوة ، فهل تسمحين ، وتشربين معي ،

يا مس

— ساره كنج .

وأخرج من جيبه بطاقة وقال وهو يقدمها :

— وهذا هو اسمي .

ونظرت سارة في البطاقة ، ثم همست قائلة في ابتهاج ورهبة :

— الدكتور تيودور جيرار ! لشد ما أنا سعيدة بمعرفتك يا سيدي ، لقد قرأت كل مؤلفاتك في علم النفس .

وإن آراءك في مرض الانفصام لمثيرة جداً .. انك أشهر طبيب للأمراض العصبية يا دكتور .

— أحقا !

— نعم . وإني لأقدرها بحكم عملي . فقد تخرجت حديثاً من كليـة الطب .

— آه .. فهمت ..

ولكن الدكتور جيرار كان أكثر اهتماماً بجمال سارة منه بشهادتهـا الطبية . وقد سرته أمارات الرهبة والاعجاب ، المطلة من عينيها ، وهي تنظر اليه .

وسألها قائلا :

— هل ستمكثين معنا طويلا ؟

— بضعة أيام ، ثم أمضي الى مدينة بترا .

— أها .. وأنا أيضاً أفكر في هذه الزيارة إذا لم تستغرق وقتاً طويلا لأني مضطر للعودة إلى باريس قبل الرابع عشر من هذا الشهر .

— إن الرحلة اليها تستغرق أسبوعاً كما أظن .. يومان في الذهاب ويومان في الإقامة ثم يومان للاياب .

· يجب أن أذهب إلى مكتب الرحلات غداً ، وأرى مـاذا ينبغي

أن أفعل .

وفي تلك اللحظة دخلت جماعة إلى ركن القاعة ، فتأملت سارة أفرادها برهة ، ثم قالت بصوت خافت :

ــ أرى هؤلاء الناس .. فقد غادروا القاهرة معي أمس .

فألقى الدكتور جيرار نظرة عليهم ثم قال :

ــ أمريكيون ؟!

ــ نعم .. أسرة أمريكية . ولكنها ، أسرة غريبة الأطوار ، كما يبدو لي .

ــ غريبة الأطوار ؟. لماذا ؟.

ــ أنظر اليهم ، ولا سيما السيدة العجوز .

وتأمل الدكتور جيرار وجوه أفراد الأسرة بنظراته الفاحصة ، ولاحظ أولاً الرجل الطويل العريض الذي يبلغ من العمر ثلاثين عاماً ، وكان وجهه وسيماً ، لكن قسماته تنم عن ضعف الشخصية والميل إلى الانطواء .

ثم نظر إلى الشاب الأصغر ، وكان جميلا كآلهة الإغريق ، إلا انه كان ايضاً « غريب الأطوار متوتر الأعصاب » .

أما الفتاة الأصغر منه ، فكانت أخته ، لشدة الشبه بينها وبينه في السمت وفي التوتر العصبي .

ثم الفتاة الصغرى ، ذات الشعر الذهبي المحيط برأسها كالهالة . كانت أيضاً تعبر عن حالتها العصبية ، بلا وعي ، بتمزيق المنديل الصغير الذي أمسكت به .

أما السيدة الشابة ذات الشعر الفاحم ، والوجه الهادىء ، فكانت تشبه في غموضها لوحة مرسومة بريشة ليونارد دافنشي .

أما السيدة العجوز التي توسطت الجمع ، فقد جعلت الدكتور جيرار يقول لنفسه في رهبة :

— يا للهول .. إنها أنموذج لزوجة الشيطان ، إن كان للشيطـان زوجـة .

كانت إمرأة عجوز بدينة ، صارمة الملامح، حادة النظرات أشبه ما تكون بعنكبوت ضخم سام قابع في شبكة نسيجه .

وهز كتفيه وقال لسارة :

— إن الأم دميمة جداً .

— إن في هيئتها ما يثير الرعب ، ألا ترى هذا ؟

— أعتقد هذا !

— وهناك طابع خاص ، في سلوك الذين حولهـا ، نحوها .. اليس كذلك ؟

— نعم ، من هم أفراد هذه الأسرة ؛ هل تعرفين ؟

— إنهم أسرة بونتون : الأم ، والابن الأكـبر ، وزوجته ، ثم ابن أصغر ، واخت ، وأخت صغرى . ومن عجب إنهم لا يتحدثون مع احد أو يختلطون بأحد ، ولا يستطيع أحـدهم ان يفعل شيئاً إلا بأمر الأم العجوز .

— يبدو انها من النوع المستبد .

— بل انها طاغية كما يلوح لي !

وابتسم جيرار لنفسه حين رأى سارة تركز نظراتها على الشاب الجميل بين افراد الأسرة !

ثم فكر :

« يبدو انها تحبه ! »

وبصوت مسموع قال لها :

- هل تحدثت اليوم ؟

- نعم ، اعني مع واحد منهم !

- الشاب ، الابن الأصغر ؟

-- نعم ، في القطار الذي جاء بنا من القنطرة ، كان في الممر بين مقصورات الدرجة الأولى ، وقد تحدثت معه !

- وما رأيك فيه ؟

فترددت سارة برهة قبل ان تجيب قائلة :

- بدا لي أن في الأمر شيئاً غير طبيعي ، فأولاً لاحظت ان وجهه يحمر بشدة ، ولأبسط سبب .

فابتسم جيرار وقال :

- امل ان يكون له عذراً !

وضحكت سارة وقالت :

- تعني انه حسبني واحدة من صائدات الرجال ؟ لا .. إن هذا الخاطر لم يطرأ على فكره ، والرجل عادة يعرف هذا النوع من السيدات ، اليس كذلك ؟

فلما أومأ جيرار برأسه ، استطردت هي تقول :

- إن الشيء الذي أثار اهتمامي به انني لاحظت بوضوح انه مضطرب الأعصاب ، وخائف من شيء ما ، وهذا وحده أمر غريب ! فإن الأمريكيين يظهرون أمامنا عادة في مظهر الانسان الواثق من نفسه إلى حد كبير وهذا الشاب ليس حدثاً ، إن سنه لا تقل عن الثالثة والعشرين .

- بل أعتقد انه في الرابعة او الخامسة والعشرين .

- ومع ذلك فإنه يبدو من تصرفاته كأنه غلام . وأعتقد ان لهذه الحالة علاقة أكيدة بتلك المرأة الرهيبة .

- يبدو انك تكرهينها جداً .

- نعم ، إني أنفر منها وكأنها أفعى شريرة النظرات .

فابتسم جيرار وقال .

— إن الأم أحياناً تبدو شريرة النظرات حين ترى ابنها مفتوناً بفتاة جميلة مثلك !

وقبل ان تقول سارة شيئاً ، إذا بالشاب ريموند ينهض ويعبر القاعة إلى مائدة الكتابة حيث اختار بعض المجلات وحين اقترب من مقعدها أثنـــاء عودته نظرت اليه وقالت له :

— هل كنت مشغولاً اليوم بمشاهدة الأماكن الأثرية !!

وكانت قد اختارت كلماتها بلا تفكير ، لأنها أرادت فقط ان ترى كيف سيتصرف عند سماعها .

وتوقف ريموند فجأة ، ثم اضطرم وجهه بشدة ثم أجفل كجواد فزع من شيء ثم أرسل نظرات خوف الى الأم البدينة .

وقال متلعثماً :

— أوه ! نعم ، طبعاً ، نعم .

وكأنما لكزه أحد من الخلف فجأة ، فإذا هو يندفع عائداً إلى الأسرة ، ممسكاً بالمجلة .

ومدت المرأة الشبيهة بتمثال بوذا ، يداً بدينة وتناولت المجلة ، ولكن نظراتها كانت مركزة على وجه الشاب وهي تغمغم بكلمات شكر، ثم تحولت هذه النظرات واستقرت برهة على وجه ساره .

ونظرت سارة في ساعة يدها ثم نهضت قائلة :

— أوه ! لقد مر الوقت بسرعة . شكراً جزيلاً على القهوة يا دكتور جيرار يجب ان أسرع لكتابة بعض الرسائل الآن .

فنهض وصافحها قائلاً :

— سوف أراك مرة أخرى .. أليس كذلك ؟

— أوه ! طبعاً ، إذا قررت السفر إلى بترا .

– سأبذل كل جهدي في هذا السبيل .

فابتسمت له ساره ، واستدارت . وكان طريقها إلى خارج الغرفة يمر بمكان جلوس الأسرة ، وراح الدكتور جيرار يرقب الموقف ، فرأى نظرات المرأة البدينة تتركز على الشاب ريموند .. ورأى ريموند يدير وجهه ، لا نحو ساره ، وإنما بعيداً عنها ، وكأنما هناك يد خفية تضغط على الوجه وتبعده عن اتجاه ساره .

ولاحظت ساره كل شيء ، فلم تتمالك ان تشعر بالاستياء من ريموند ، إذ تذكرت انها تحدثت معه في القطار حديثاً ودياً طويلاً وتبادلا المعلومات والذكريات عن الآثار المصرية ، وعن اللهجات المحلية ، وكان الشاب يبدو لها متحمساً كتلميذ يقوم بأول رحلة مدرسية خارج وطنه . فما معنى موقفه الآن ؟ ولماذا يشيح بوجهه عنها ؟

وقالت لنفسها في استنكار :

– إني لن أهتم بأمره بعد اليوم .

وكانت ساره تعرف تماماً انها جميلة وجذابة ، لهذا لم يكن في وسعها أن تقبل مثل هذا التصرف من شاب عرفته وتحدثت اليه .

وبدلاً من أن تكتب رسائلها ، جلست أمام مرآتها تمشط شعرها وتفكر في حياتها . كانت قد خرجت لتوها من أزمة عاطفية أليمة ، إذ فسخت خطوبتها ، في الشهر السابق ، مع طبيب شاب يكبرها بأربعة أعوام . وكان سبب فسخ الخطوبة ، إدراكها في النهاية أن كلا منهما له شخصية قوية ، وان الاصطدام بين شخصيتيهما لا بد ان ينتهي إلى التعاسة إذا تم الزواج ولكن هذه الازمة العاطفية سببت لها آلاماً نفسية عنيفة ، وجعلتها تقوم بهذه الرحلة للترفيه ، قبل ان تعود الى وطنها ، انجلترا ، وتبدأ حياتها العملية .

وارتدت أفكارها من الماضي إلى الحاضر ، وتركزت في النهاية على الشاب

ريموند فشعرت بلون من الاحتقار له ، وكان مصدر هذا الشعور ذلك الخضوع المهين الذي جعل الشاب يتجاهلها خوفاً من أمه !

ومع ذلك !

إن احساساً غريباً يخامرها .. فلا شك ان هناك سبباً ما ، سبباً غامضاً وراء تصرف الشاب !

وفجأة وجدت نفسها تقول بصوت مسموع ، وبلهجة حاسمة :

ــ ان هذا الشاب في حاجة الى انقاذ .. ولسوف أرى ماذا يجب أن أفعل من أجله !

- ٣ -

عندما تركت ساره المكان ، تلكأ الدكتور جيرار في ركن من غرفـة المكتبة لحظات، ثم مضى الى مائدة الكتب والمجلات، وتناول صحيفة «الماتان» ومضى بها الى مقعد قريب من أسرة بونتون .

كان في أول الامر يتسلى باهتمام الفتاة الانجليزية ساره ، بهذه الاسرة الامريكية . وكان يشعر ، ان اهتمامها هـــذا ينبع من اهتمامها الخاص بواحد معين من أفرادهـا . الشاب الجميل ، الذي يشبه أحد آلهـة الإغريق .

أما الآن ، فقد بدأ هو نفسه يهتم بأمر هذه الاسرة ، حين أدرك بخبرته في علم النفس ، وتجاربه في الامراض العصبية أن هناك شيئاً غامضاً يحيط بهذه الاسرة .

وراح من وراء صحيفته يختلس النظر الى أفرادها ..

فركز اهتمامه أولاً على الشاب الذي أثار اعجاب واهتمام الانجليزية الحسناء ساره كنج .

وأدرك الطبيب في الحال ، ان الشـاب من الطراز الذي يستهوي فتـاة مثل سارة .

انها فتاة تتمتع بقوة الشخصية ، وبالاتزان الفكري ، وبالتفكير المنطقي

السليم ، وبالارادة القوية . بينما يبدو على الشاب انه مرهف الحس ، خيالي النزعة ، كما كان في تلك اللحظة يعـــاني من مؤثر عصبي شديد . ولم يعرف الدكتور جيرار لماذا ؟ لماذا تتوتر أعصاب شاب وسيم يستمتع برحلة خارج بلاده !

وحول الطبيب اهتمامه الى بقية أفراد الاسرة .

كان من الواضح ان الفتاة ذات الشعر الكستنائي هي أخت ريموند . كان الشبه بينهما واضحاً في تركيب الجسم ، وفي المظهر الارستقراطي العام ، كما كانت ايضاً متوترة الاعصاب مثله .

وكان هذا التوتر يبدو واضحاً في صوتها وفي عباراتها السريعة القصيرة الحاسمة .

وسمع الدكتور جيرار مقتطفات من احاديث الاسرة ، عبـــارات عادية يمكن ان تدور بين أفراد أية أسرة أخرى :

— ربما نذهب الى حظيرة جياد فندق الملك سليمان .

- اليس في هذا مشقة على أمنا ؟

— ثم نمضي الى حائط المبكى في الصباح .

— والمعبد أيضاً ، انهم يسمونه مسجد عمر .

انها عبارات عادية يمكن ان تتبادلها افراد أية اسرة تقوم برحـــلة خارج البلاد .

ولكن شيئاً ما في نبرات الاصوات جعل الدكتور جيرار يشعر ان هذه العبارات لا تمت الى الحقيقة بسبب ، او بمعنى آخر عبـــارات تخفي وراءها معاني اخرى اعمق واغمض ، وابعد عن تفكير الشخص العادي .

ومرة اخرى اختلس الطبيب نظره من وراء صحيفته ، وركزهـــا هذه المرة ، على لينوكس ، اكبر الابناء ، وبدا له في وضوح ، انـــه

انسـان يائس تماما . فقد كانت امارات اليـأس والاستسلام ، ناطقـة على وجهه !

ومن ثم قال جيرار لنفسه :

– إن المسكين ، يشبه مريضاً بالسرطان ، يعلم ان نهايته اقتربت ، فهو ينتظرها في استسـلام ، شاكراً الله على حقن المخدر ، التي تخفف عنه آلامه .

وتحول الدكتور جيرار بنظراته إلى الفتاة الصغرى ، التي بدت له في نحو التاسعة عشرة من العمر ، رقيقة ، صافيـة البشرة ، ذهبية الشعر ، جميلة الملامح ، وكانت جالسة في شبه ذهول ، تبتسم لنفسها ، وكأنها تحلق في عالم بعيد عن مدينة القدس ، وفندق الملك سليمان .

وقد ذكرته ابتسامتها الذاهلة ، بابتســامات تماثيل الآلهة ، في معابد الاغريق .

ولكنه لاحظ فجأة ان يديها اللتين كانتا في حجرها ، مشغولتين بتمزيق منديل حريري صغير ..

وكانت صدمة عنيفة لجيرار .. هذه الابتسامة الذاهلة ، والجسم الساكن ثم اليدين المدمرتين !

ورفعت الأم البدينة العجوز رأسها ، وسعلت قليلاً ، ثم قالت للفتاة الصغرى :

– جنيفرا ، انك متعبة يحسن ان تأوي إلى فراشك .

وأجفـلت الفتـاة .. وجمـدت أصابعها على المنـديل الممزق ، ثم قالت :

– إني لست تعبة يا أماه !

وأعجب جيرار بصوت الفتاة الموسيقي ..

كانت الموسيقى فيـه تضفي ، على أية عبارة تنطق بها رنيناً عذبـاً

يسعد الأسماع .

وردت الأم بصوتها المنفر قائلة :

— لا ، بل انت متعبة ، وأنا أعرف هذا دائماً . وإذا لم تنهضي للاستراحة الآن ، فلن تستطيعي ان تقومي معنا بجولة الغد لمشاهدة الآثار .

— اني في أحسن حال يا أماه . لا أشعر بأي تعب

وبصوت أجش تؤذي سماعه أعصاب الأذن قالت الأم :

— لا ، انك لست على ما يرام ، وسوف تمرضين .

— أبداً ، أبداً يا أماه إني بخير .

وبدأت الفتاة ترتعد بعنف

وهنا ، سمع جيرار صوتاً رقيقاً هادئاً يقول :

— سوف أصعد معك إلى غرفتك يا جيني .

ونهضت صاحبة الصوت ، السيدة الهادئة ذات العينين الرماديتين الواسعتين والشعر الفاحم ، زوجة لينوكس .

ولكن الأم العجوز قالت بصوت حازم :

— لا يا نادين دعيها تمضي بمفردها .

وصاحت الفتاة قائلة في احتجاج :

— لا ، إني أريد ان تأتي نادين معي ..

فتقدمت نادين نحوها خطوة وهي تقول :

— سوف أصحبك طبعاً يا جيني .

لكن الأم العجوز عادت تقول :

— إن جنيفرا تفضل الذهاب إلى غرفتها بمفردها .. أليس كذلك يا عزيزتي ؟

وبعد لحظة صمت ، قالت جنيفرا بصوت كله يأس واستسلام :

— نعم ، أفضل الذهاب بمفردي ، شكراً لك يا نادين .

ثم استدارت ومضت بقامتها الطويلة ، وخطواتها الرشيقـــة ، وأزاح الدكتور جيرار الصحيفة عن وجهه ، وأخـــذ ينظر إلى الأم العجوز المسز بونتون ، في تأمل وقد رآها تشيع ابنتها بنظرات تنم عن الرضى ، وعلى شفتيها إبتسامة غريبة غامضة .

وبعد وهلة حولت المرأة العجوز نظراتها إلى نادين التي عادت إلى مجلسها ، ورفعت هذه رأسهـــا وبادلت حماتها النظر ، وقد خلا وجهها ، من أية تعبيرات ، تنم عن حقيقة مشاعرها . أما نظرة العجوز فكانت مليئة بالشر والحقد .

وقال جيرار لنفسه :

ـ يا لها من إمرأة طاغية فريدة من نوعها !

وتذكر جيرار إمرأة شابة كانت تروض الوحوش .. تذكر ان نظراتها كانت تشبه في قوة تأثيرها نظرات هذه المرأة العجوز . وتذكر أيضاً كيف كانت الوحوش تنظر الى المروضة بعيون مليئة بالحقد والكراهية لكنها لم تكن تستطيع إلا ان تستسلم للأوامر .

فقال لنفسه :

ـ انها نموذج للطاغية الرهيب .

وأدرك ، في تلك اللحظة ، المعاني الحقيقيـــة التي كانت تختفي خلف عبارات أفراد الأسرة عند الحديث العادي . انها معاني تنم عن الحقـــد والكراهية والتمرد المكبوت .

وعاد ينظر باهتمام إلى السيدة الشابة المدعوة نادين ..

كان خاتم الزواج في اصبع يدها اليسرى ، وقـــد أدرك من نظراتها السريعة القلقة الى الابن الأكبر ، لينوكس ، انه زوجها ..

كانت نظرات زوجة الى زوج ..

بل نظرات أم إلى ابن .

أم كلها العطف والحنان والقلق ، الى ابن ضعيف مريض ، هادىء الحركة..

ومن نظرات نادين عرف انها الوحيدة بين أفراد الأسرة ، التي لا تخشى حماتها . إنها تكرهها ، وهذا واضح جداً ، ولكنها لا تخشاها . .

ورغم ما ينم عليه وجهها من بؤس وقلق ، بسبب حالة زوجها ، فقد كانت هي الوحيدة التي تعرف معنى الحرية ، كانت هي الوحيدة التي تواجه عيني الأفعى دون ان ترتعد !

- ٤ -

بينما كان جيرار يفكر في هذا كله ، اذا برجل يدخل قاعة المكتبة ، فإذا هو يتجه نحو أسرة بونتون حين وقعت عيناه على أفرادها ، وكان رجلاً أمريكياً في منتصف العمر ، شديد العناية بملابسه ، وكان صوته رتيب النبرات ، وهو يتحدث قائلاً :

- كنت أبحث عنكم .

وبعد أن صافح الجميع ، قال للأم العجوز :

- كيف حالك الآن يا مسز بونتون ؟ هل أتعبتك الرحلة ؟

وللمرة الأولى كان صوت الأم رقيقاً بعض الشيء وهي تقول :

- لا .. شكراً .. ان صحتي كما تعلم ، لم تكن جيدة ، في الأشهر الأخيرة ..

- أنا آسف .

- لكني لست أسوأ حالاً مما كنت

ثم رسمت على شفتيها ابتسامة بطيئة وأردفت قائلة :

- وان نادين تهتم بأمري وترعاني .. اليس كذلك يا نادين !

فقالت نادين بصوت غير معبر :

اني أحاول ان أبذل كل ما في وسعي .

فقال الرجل الغريب بحماس :

— انني واثق من هذا .. حسناً . ما رأيك ، يا لينوكس ، في مدينة القدس هذه ؟!

فغمغم لينوكس قائلاً .

— لا أعرف .

— اني ارجو ان أفرغ من رؤية كل شيء في القدس خلال يومين . لقد تركت مكتب كوك للسياحة ينظم هذه العملية ..

ان مندوبيه سيصحبونني الى الناصرية ، وبحيرة طبريسة وبيت لحم ، وبحر الجليل ، وغير هذا كله .

كما أرجو ان أتمكن من زيارة مدينة بترا الأثرية ، الناعسة في واد من الصخور الوردية .

انها بعيدة عن العمران ، وتحتاج الرحلة الى ستة أيام على الأقل ، ذهاباً واقامة واياباً ..

ولكنها جديرة بضياع هذا الوقت .

وقالت كارول :

— لشد ما أتمنى زيارتها ! ان حديثك عنها ، يا مستر كوب ، مشوق جداً .

فقال المستر كوب ، وهو ينظر متسائلاً ، الى المسز بونتون العجوز :

— ان الرحلة شاقة ، وأعتقد ان المسز بونتون لا تتحملها ، ولهذا لا بد أن يبقى معها بعضكم هنا ، على أن يذهب البعض الآخر لزيارة هذه المدينة التاريخية ، انها جديرة بالزيارة حقاً .

فقالت الأم :

— اننا لا نحب ان نفترق ، او ان ينفصل بعضنا عن بعض ، ما

رأيكم يا أولاد ؟

وجاءت الإجابات سريعة متوالية :

– نعم .. نعم يا أماه !

فارتسمت ابتسامة غامضة على شفتيها .

ثم قالت المستر كوب :

– أترى !. انهم يرفضون ان يتركوني .

ثم نظرت الى نادين وأردفت قائلة :

– نادين ؟ انك لم تقولي شيئاً ؟ ما رأيك ؟

– اني لا أريد الذهاب الى هذه المدينة الا اذا شاء لينوكس !

فقالت الأم وهي تدير رأسها الى لينوكس :

– ما رأيك يا لينوكس ؟ لماذا لا تأخذ نادين وتذهب الى بترا ؟ انها تريد الذهاب كما يبدو ..

فأجفل لينوكس قليلاً ، ثم قال متلعثماً

– آه ! حسناً ! لا ، لا ، يحسن ان نبقى معاً ، جميعاً

فقال المستر كوب :

– انكم في الواقع أسرة متماسكة ..

وأحس جيرار ، الذي كان يسمع هذا كله ، ان صوت المستر كوب المتلطف ، كان ينطوي على معان أخرى .

معان جوفاء متكلفة

فقالت الأم ترد عليه :

– اننا نحب ان نعيش معاً بعيداً عن الاختلاط بالغير .

ثم اردفت قائلة لريموند :

– وبهذه المناسبة ، يا ريموند .. من هي تلك الشابة الحسناء التي تحدثت اليك منذ قليل ؟

فاضطرب ريموند واضطرم وجهه وقال متلعثماً :

— انني .. انني ، لا أعرف اسمها .. فقد قابلتهـا ، مصادفة ، في القطار .

وبدأت المسز بونتون تنهض ببطء عن مقعدها وهي تقول :

— أعتقد انه لا داعي للتعرف بها .

ثم أردفت قائلة بلهجة الأمر :

- حان وقت النوم ، طاب مساؤك يا مستر كوب .

— طاب مســاؤك ، يا مسز بونتون . طاب مســاؤك ، يا مسز لينوكس ..

وسار أفراد الأسرة خلف الأم العجوز ، في موكب حزين ، ولم يخطر ببال أحدهم ان يتخلف عنها .

وراح مســتر كوب يشيعهم بنظراتــه ، وقد ارتسمت على وجهــه امارات غامضة .

وكان الدكتور جيرار يعرف من تجاربـــه ان الامريكيين ، بعكس الانجليز ، يميلون الى التعرف بالغـير ، لا سيما أثناء الرحـلات ، خارج الوطن .

ومن ثم قرر ان يتعرف بالمستر كوب ، ليعرف منه كل ما يمكن ان يعلمه عن هذه الأسرة الغريبة الأطوار .

وسرعان ما قدم اليه بطاقته ، وهتف المستر جيفرسون كوب حين قرأ الاسم :

— الدكتور جيرار ، أوه .. لقد كنت استاذاً زائراً في جامعات امريكا منذ عهد قريب ، أليس كذلك ؟

— نعم ، وكانت آخرها جامعة هارفارد .

— أوه . انني سعيد بمعرفتك يا دكتور ، يبدو ان هذا الفندق مزدحم

بالشخصيات العالمية . فقد رأيت فيه السير جابرييل ستانيبوم واللورد ويلدون، والسير ماندرز ستوم عالم الآثار المشهور والليدي وستولم السياسية الانجليزية المشهورة والخبير الجنائي هيركيول بوارو .

ـ أهو هنا ، هيركيول بوارو القصير ؟

وفي بهو الفندق ، وأمـــام كأسين من الويسكي ، قال الدكتور جيرار للمستر كوب :

ـ كنت منذ مدة قصيرة تتحدث مع اسرة امريكية نموذجية .

ـ نعم ، نعم ، لكنها ليست نموذجية برأيي .

ـ يبـدو ان افرادهـا متماسكين ، ومتفانين ، في علاقـات بعضهم البعض .

ـ تعني انهم يدورون في فلك الأم العجوز ، نعم .. هذه هي الحقيقة انها سيدة مدهشة .

ـ حقاً ؟

وشرب المستر كوب كأسه الثانية وقال :

ـ اني لا اجد مانعاً من ان اتحدث اليـــك عن هذه الاسرة ، انها في الواقع من الامر التي تثير اهتمام الغير بغرابة سلوك افرادها . وارجو الا اثقل عليك بالحديث عنها .

ـ لا ، لا ، مطلقاً .

وفي شيء من الارتباك قال مستر كوب :

ـ ان المسز بونتون صديقة قديمة لي ، اعني المسز بونتون الشابة زوجـــة لينوكس بونتون ، لا المسز بونتون العجوز .

ـ آه ، تعني تلك السيدة الجذابة ذات الشعر الأسود .

ـ نعم ، انها نادين . كنت أعرفها قبل زواجها من لينوكس ، كانت يومذاك تتدرب في المستشفى لتظفر بشهادة التمريض .

ثم ذهبت إلى قصر آل بونتون لتقضي إجازتها ، وهنــاك تزوجت لينوكس .

وقد كان المرحوم المستر بونتون ، رجـل الأعمال المشهور ، قد تزوج مرتين ، وماتت زوجته الأولى ، تاركة له لينوكس في سن العــاشرة ، وريموند في الخامسة من عمره ، وكارول في الثالثة من عمرها .

وكانت زوجته الثانية ، مسز بونتون هذه ، جميلة عندما تزوجها المستر بونتون ، أي منذ عشرين عاماً .

إن من يراها الآن لا يمكن أن يتصور انها كانت يوماً ما جميلة ، ولكن الذين رأوها في شبابها يؤكدون هذه الحقيقة .

وكانت معروفة بقوة الشخصية ، والذكاء الحاد ، والقدرة على مواجهة كل الظروف .

ومن ثم راح زوجها المستر بونتون يعتمد عليها في شؤونه ، ولا سيما بعد أن أمضى السنوات الأخيرة من عمره مريضاً في الفراش .

وبعد وفاته ، كرست حيــاتها لتربية أولاده ، وكانت قد أنجبت منه إبنة صغرى ، هي جنيفرا ، أو جيني . تلك الفتاة الرقيقة ذات الشعر الذهبي .

وكما قلت لك يا دكتور جيرار كرست الأم حياتها لتربيــة الأبناء ، حجبتهم عن العالم تماماً ، فجعلتهم يعيشون معها في قصر الوالد دون أي اختلاط مع أحد .

وكانت النتيجة أنهم نشأوا .. متوتري الأعصاب ، ضعاف الشخصية ، بلا تجارب ، وبلا أية قدرة على اكتســاب الأصدقاء . وهذا الأمر ، سيء جداً .

ــ نعم بكل تأكيد.

ــ لكنني لا أشك في أن المسز بونتون كانت حسنة النية .

- ألم يحاول أحدهم القيام بعمل ما ؟

- لا ، مطلقاً .. لقد ترك لهم أبوهم ثروة طائلة ، وأوصى بها كلها لزوجته ، على أن يتقاسمها أبناؤه ، الذكور والاناث ، بالتساوي بعد وفاتها ..

- وهذا يعني أنهم يعتمدون في معاشهم عليها تماماً .

- نعم ، والأسوأ من هذا ان أحداً منهم لم يحاول ان يشغل وقته بعمل أو بهواية ما أو بالرياضة او التردد على صالات الموسيقى والرقص . صحيح أن ريموند لا يزال شاباً ، ولا تزال الفرصة أمامه ليبحث عن عمل يرتزق منه . أما لينوكس ، فإنه قد انتهى .. ضاعت منه كل الفرص ليثبت جذوره بالحياة .

- لا شك ان زوجته غير سعيدة بهذا الوضع .

- طبعاً يا دكتور جيرار . إن نادين فتاة رائعة وأنا شديد الاعجاب بها . ورغم انها لا تشكو إلا أنها غير سعيدة ، أؤكد لك هذا .

- وماذا في وسعها ان تفعل يا مستر كوب ؟

لو كنت مكانها لطلبت من لينوكس احد أمرين : إما ان يعيش كرجل حر او ان يطلقها .

فقال جيرار باسماً :

- لعلها لا تريد ان تنفصل عنه .

- لماذا ؟ ان هناك رجالاً كثيرين يتمنون ان يتزوجوا منها .

- مثلك ، مثلا !

- نعم ، وانا لا أخجل من التصريح بهذا . اني احترمها وأحبها اشد الحب واتمنى ان اراها سعيدة ، فإذا تأكدت انها سعيدة مع لينوكس ، فسوف أختفي من حياتها فوراً .

- وإذا لم تكن ؟

- في هذه الحالة يجب ان اكون بجانبها ، فإذا احتاجت الي ، اسرعت لنجدتها .

فدمدم جيرار قائلا :

- اي تعتبر نفسك فارس النجدة المثالي !

فنظر كوب اليه بارتياب . وعندئذ قال جيرار موضحاً :

- أعني انك تتخذ موقف البطل النبيل الذي يضع حياتـــه تحت امر البطلة دون انتظار اشيء .

- اني اريد فقط ان اكون بجانبها عندما تحتاج الى معونتي .

- ٥ -

كانت ساره كنج تقف في صحن المسجد الأقصى ، وتتأمل باعجاب شديد روعة بنائه ، وعظمة قبته المشيدة على صخرة مرتفعة ، وجمال نقوشه ، حين سمعت وقع اقدام كثيرة في الجانب الآخر ، فلما استدارت شاهدت اسرة بونتون ومعها المرشد السياحي ، الذي كان يشرح لها روعة هـــذا المسجد الاثري الجميل .

وكانت مسز بونتون العجوز تسير معتمدة على ذراعي لينوكس وريموند ، وكانت نادين ومستر كوب الامريكي يسيران وراءهم ، اما كارول فكانت في المؤخرة .

ولمحت كارول ساره فوقفت مترددة ثم اسرعت وتقدمت منها خلسة عن بقية الاسره وهمست لها قائلة :

— معذره ، يجب ان اعتذر اليك .

— لماذا ؟

— عن اخي ريموند ، لا شك انك استأت منه بسبب موقفه معك أمس حين تحدثت اليه ، ارجو ان تلتمسي له العذر .. انه لم يتعمد ان يتجاهلك .. ابداً ..

وشعرت ساره بغرابة الموقف . لماذا تحاول هذه الفتاه ان تعتذر بمثل

هذه اللهفة عن تصرفات اخيها نحوها ، نحو فتاة غريبة عنه تماماً .

وقالت للصبية ، وقد شعرت بغريزتها ، ان هناك شيئاً غير طبيعي في الموقف بأجمعه :

- ولماذا تعتذرين عن سلوك اخيك ؟

- قد تحدث اخي معك في القطار ، اليس كذلك ؟

- نعم ، او على الاصح انا التي تحدثت اليه .

- ومع هذا لاحظت امس ، ان اخي كان خائفاً من الحديث معك امس .

- خائفاً ؟

واضطرم وجه كارول بعد ان كان شاحبا وقالت :

- ان الامر يبدو غريبا ! ولكن .. ان امي .. انها ليست على ما يرام ، وهي تكره ان نختلط بأحد خارج محيط الاسره ، ولكني اعرف ان شقيقي ريموند يحب ان يتعرف بك .

وقبل ان ترد ساره ، تابعت كارول قائلة بلهفة :

- أعرف إنني سأبدو في نظرك بلهاء . ولكننا أسرة غريبة الأطوار .

ثم تلفتت حولها وأردفت قائلة :

- يجب ان أنصرف بسرعة قبل ان تكتشف أمي غيابي ..

وقالت ساره وقد عقدت عزمها على شيء :

- لماذا لا تمكثين معي إذا كانت هذه رغبتك ؟ ماذا يمنعك من أن تسيري معي قليلاً في الخارج .

- أو ! لا ، لا ، لا أستطيع ان أفعل هذا ..

- لماذا ؟

- لأن أمي .. أمي .

وسكتت فقالت ساره بهدوء :

أنا أعرف ان من العسير على الأمهات أحياناً أن يدركن أن أبناءهن قد كبروا وأصبح في مقدورهم الاعتماد على أنفسهم . لكن من الخطأ الشديد أن يستسلم الانسان لمثل هذه النزوات . يجب على الابن أو الابنة في سن معينة أن تدافع عن حقوقها المشروعة .

فغمغمت كارول قائلة :

ـ انك ، انك لا تعرفين حقيقة الظروف التي نعيش فيها .

ـ مهما تكن هذه الظروف ، فإن لكل إنسان قدراً معيناً من حرية التصرف وإن عليه ان يدافع عن هذا القدر بكل ما يملك

الحرية نحن لا نعلم ما هي هذه الحرية .

إنني لا أصدق هذا .

ـ إسمعي . يجب ان أحاول شرح الأمر لك لقد كانت أمي قبل زواجها من أبي ، إنها في الواقع ليست أمي وإنما زوجة أبي فقط ، كانت سجانة في سجن بنيويورك ، وكان أبي مديراً لهذا السجن قبل أن يتزوجها ويستقيل ويشتغل بالأعمال الحرة . حسناً .. ومنذ تزوجت أبي وهي تمارس معنا مهنتها السابقة ، تعاملنا كما يعامل السجان المسجونين ، وهذا ما يجعلنا نشعر اننا نعيش في سجن ..

ثم تلفتت وراءها وقالت بسرعة :

ـ إنهم سيفتقدونني ، يجب ان أعود بسرعة ..

فأمسكت ساره بذراعها قبل ان تنفلت وقالت هامسة :

إنتظري لحظة ، يجب أن نلتقي ثانية ونتحدث .

ـ لا ، لا أستطيع .

ـ بل تستطيعين .. تعالي إلى غرفتي بعد ان تأوي إلى فراشك ، إني في الغرفة رقم ٣١٩ ، لا تنسي هذا الرقم ..

وتركت ذراعها ، فانفلتت كارول عائدة لأسرتها .

وشردت أفكار سارة وهي تشيع الفتاة بنظراتها ، ثم تنبهت على صوت الدكتور جيرار وهو يقول بجانبها :

ـ طاب صباحك يا مس كنج ، إذن فقد كنت تتحدثين مع المس كارول بونتون

ـ نعم ، فقد تبادلنا أغرب محادثـــة يمكن أن تتصورها .. دعني أسردها عليك

ولما فرغت من سرد مضمون الحادثة عليه ، قال جيرار معلقاً على نقطة هامة في الحديث :

ـ إذن فقد كانت سجانة . تلك الخرتيتـــة القبيحة ! ان هذا يفسر تصرفاتها القاسية مع أفراد الأسرة .

ـ هل تعني ان عملها السابق كسجانة هو السبب في طغيانها ؟

ـ لا ، وإنما العكس هو الصحيح .. إنها لا تحب الاستبداد والطغيان لأنها كانت سجانة ، وإنما حبها الغريزي للاستبداد والطغيان هو الذي دفعها للاشتغال بهذا العمل .

في رأيي انها امتهنت هذا العمـل بدافع غريزي للسيطرة على غيرها من البشر ، وأنا واثق من انها تستمد سعادتها من رؤية الآخرين يتعذبون ، وكلما كان عذابهم نفسياً وفكرياً كانت سعادتها أشد .

فأخبرها جيرار بحديثه مع مســـتر كوب الأمريكي ، وعندئذ قالت سارة مفكرة :

ـ هذا يعني ، انه لا يعرف حقيقـة ما يجري ، في محيط هـذه الأسرة .

ـ وكيف يمكنه ان يعرف وهو ليس عالماً نفسياً .

ـ صدقت ، إنه أمريكي عادي ينظر الى الحياة من زواياها الواضحـة البسيطـة ، إنه يؤمن بالخـير دون الشر ، ويعتقـد ان أسرة بونتون من

الأسر النموذجية ، المترابطة بوشائج الحب والوفاء وهو يعتقد أن تصرفات المسز ونتون نحو أفراد أسرتها نابعة من حبها لهم، ورغبتها في حمايتهم من شرور الغير

ـ أعتقد هذا .

لكن لماذا لا يحاولون الهرب منها ! إن هذا في مقـــدورهم ، لو أرادوا .

ـ لا ، إنهم لا يستطيعون ، لقـد بذرت في نفوسهم منـذ الطفولة ، بأنهم لا يستطيعون الحياة بدون رعايتها وحمايتها ، لقد عرفت بقـــوة شخصيتها ، كيف تسيطر على أفكارهم وتخضعها لارادتها .

إنهم الآن كالنائمين مغناطيسيـاً ، الذين لا يستطيعون إلا ان ينفذوا رغبات النـــوم ، وان طول اقامتهم في سجن شخصيتها ، جعلتهم عاجزين عن محـاولة الخروج من هـذا السجن ، حتى لو كانت أبوابـه مفتوحة أمامهم

وصمت جيرار برهة قبل أن يردف قائلا :

ـ وان واحداً منهم على الأقل ، فقد الرغبة تمامـاً في التحرر .. انـه المسكين لينوكس .

فقالت ساره في ضيق :

ـ كان ينبغي على زوجته نادين أن تفعل شيئاً من أجله ، كان يجب أن تدفعه لتحطيم قيوده والخروج للحياة الواسعة .

ـ من يدري ؟ لعلها حاولت وفشلت .

ـ أتعتقد انها أيضاً خاضعة لسيطرة هذه الشيطانة ؟

ـ لا ، لا أعتقد ان المرأة الطاغية سيطرة عليها ، ولهذا فإنها تحقد عليها حقداً قاتلا . راقبي نظراتها اليها .

وفجأة قالت ساره بحماس :

ـ ان هذه المرأة العجوز يجب ان تقتل ، واني لأنصح بأن توضع لها كمية من الزرنيخ في قدح شاي الصباح !

ثم تابعت تقول بلهجة جادة

ـ وماذا عن الابنـة الصغرى ، ذات الشعر الذهبي ، والابتسامـة الذاهلة !

وقطب جيرار جبينه وقال

ـ اني لا أعلم . فالواقع ان الأمر هنا يختلف وان كان شاذاً أيضاً . انها ابنة المرأة العجوز .. ابنتها الحقيقية .

ـ نعم ، وهذا يجعل الموقف معها يختلف .

ـ لا أظن انه يختلف كثيراً ، بل لعل سيطرة الأم على هذه الابنة أقوى من سيطرتها على بقية أفراد الاسرة ..

* * *

تساءلت ساره في نفسها ، بعد أن تجاوزت الساعة منتصف الليـل :

ـ ترى هل ستأتي كارول كما طلبت منها ؟

وفيما هي تشغل نفسها بإعداد قدح من الشاي ، قبل ان تأوي الى الفراش ، اذا باب الغرفة يفتح ، واذا كارول تدخل على أطراف أصابعها .

فقالت بأنفاس لاهثة :

ـ كنت أخشى ان أجدك نائمة .

فردت ساره بصوت هادىء :

ـ اني في انتظارك تعالي ، واشربي معي ، قدحاً من الشاي ..

وقالت كارول بعد أن هدأت نفسها :

ـ هل تتصورين اننا لم نذهب في حياتنا الى مدرسة !

ـ لهذا الحد ؟

ـ نعم كان المدرسون الخصوصيون يعلموننا في البيت ، بل اننا لم نر الدنيا الا في هذه الرحلة فقط .

ـ لا شك أنكم سعداء بها جداً ..

ـ أوه !. جداً ، جداً . اننا نعيش كأننا في حلم جميل ، وكل ما نخشاه ، أن نستيقظ بعد أيام ، ونجد أنفسنا داخل السجن ، مره أخرى .

ـ ولكن .. ما دمتم غير سعداء في العيش مع هذه (الأم) ، فلماذا لا تنفصلون عنها ؟

قالت كارول بخوف

ـ أوه !. لا .. كيف يمكننا هذا ؟ أعني ، انها لن تسمح لنا بهذا اطلاقاً .

ـ ولكنها ، لا تستطيع أن تمنعكم .. انكم قد بلغتم جميعاً سن الرشد .

ـ انني في الثالثة والعشرين من عمري .

ـ تماماً !.

ـ ومع ذلك فإني لا أدري أين أذهب .. او ماذا يمكن ان افعل خارج البيت .

ورأت ساره ان تغير الموضوع بعد ان اشفقت على الفتاة المعذبة ؛ ومن ثم قالت :

— هل تحبين زوجة ابيك هذه ؟

وهزت كارول رأسها ببطء ..

ثم قالت بصوت هامس مرتعد بالخوف :

— اني اكرهها .. وكذلك ريموند .. وكثيراً ما تمنينا موتها .

وثانية غيرت ساره الموضوع فقالت :

— حدثيني عن أخيك الأكبر .

— لينوكس ؟ إني لا أدري مـاذا دهى لينوكس ! إنه لا يكاد ينطق بكلمة الآن ..

إنه يعيش كأنه في حلم أو في يقظة حالمة . وإن زوجته نادين تشعر بالقلق البالغ من أجله .

— إنك تحبين زوجة شقيقك ، اليس كذلك ؟

— نعم ، إن نادين مختلفة عن زوجة أبي . إنها دائماً عطوف ورقيقة ، وهي أيضاً ليست سعيدة .

وصمتت كارول برهة قبل ان تستطرد قائلة :

— إني لا أعتقد ان زوجة أبي تحب نادين ، إن نادين غريبة الطباع بعض الشيء ، وأهم ما يميزها انك لا تعرفين حقيقة مشاعرها .. إن وجهها لا ينم عما يجري في داخل نفسها أو عقلها ..

وقد حاولت كثيراً أن تساعد أختنا الصغرى ، جيني ، على احتمال هذه الحياة ، ولكن زوجـة أبي كانت تضيـق بهذه المساعـدات ، وترفضها

— تقصدين جنيفرا ، أختك الصغرى ؟

— نعم ، جنيفرا ، هي أختنا من أبينا .

— وهل هي غير سعيدة أيضاً ؟

— إن جيني تبدو غير عادية في الأيام الأخيرة ، وأنا لم أعد أفهمها إنها

كارين رقيقة مرهفة .

وإن أمها تهتم بها أكثر من اللازم ، وهذا يزيد من سوء حالتها ، ومن شعورها بالقيد .

وفجأة نهضت كارول قائلة :

ـ لا يجب ان أزعجك أكثر من هذا . إنني شاكرة لك هذه الفرصة التي أتحت لي فيها الحديث معك . ولا شك انك ستعتقدين أننا أسرة عجيبة جداً .

فقالت ساره ببساطة :

ـ إن كل إنسان لا يخلو من غرابة الطباع في كثير من الحالات . أرجو أن تزوريني مرة أخرى . ويمكنك أن تصحبي أخاك ريموند ، إن شئت . .

فهتفت كارول بابتهاج :

ـ هل يمكنني هذا حقاً ؟

ـ نعم . . لسوف تدبر أمر مساعدتكم ، سراً . . وأرجو أن أقدمكم إلى صديق لي . . الدكتور جيرار . . وهو طبيب فرنسي مشهور .

واضطرم وجه كارول وهي تقول :

ـ ما أجمل هذا وأروعه . ولكنني أخشى ان تكتشف زوجة أبي أمرنا . .

وكادت ساره ان تنطق بعبارة قاسية ضد تلك المرأة الطاغية ، ولكنها كتمت مشاعرها وقالت بهدوء :

ـ كيف يمكنها أن تعرف ؟ طابت ليلتك يا عزيزتي كارول . . غداً في مثل هذا الوقت نلتقي ثانية .

ـ نعم ، نعم ، لأننا قد نرحل بعد غد .

- إذن ، فليكن لقاؤنا غداً ، في مثل هذا الوقت بالتـــأكيد ..
طابت ليلتك .

- طابت ليلتك ، وشكراً جزيلا .

وبوجـه كله السعـادة والرضى ، غـادرت كارول الغرفـة بهدوء ، وسارت في الممر ، ثم صعدت الدرجات الى الطابق الأعلى ، حيث تقع غرفتها . وما كادت أن تفتح الباب وتدخل ، حتى تسمرت في مكانها من فرط الرعب .

لقد رأت زوجة ابيها ، بسمتها المفزعة ، جالسة في مقعد وثير بجوار المدفأة وقد ارتدت ثوباً قرمزياً ضاعف من بشاعة منظرها .

وتركزت نظرات المسز بونتون النارية على وجهها ، وهي تقول لها .

- أين كنت ؟

- انا . أنا كنت . انا .

- أين كنت ؟

فارتعدت كارول وهي تسمع هذا الصوت الذي يشبه فحيح الأفعى ، فلم يسعها إلا ان تعترف قائلة :

- كنت ازور المس كنج .. ساره كنج .

اهي نفس الفتاة التي تحدثت الى ريموند هذا المساء ؟

- نعم يا اماه ..

- هل اتفقتما على اللقاء ثانية ؟

وتحركت شفتا كارول بكلمة « نعم » دون ان يصدر الصوت . فقالت المسز بونتون :

- متى ؟

- غداً في مثل هذا الوقت

- عليك الا تذهبي . هل تفهمين ؟

نعم يا اماه

عديني بهذا

اعدك يا اماه .

فنهضت المسز بولتون بمشقة من مقعدها ، فأسرعت كارول آلياً الى مساعدتها .

فقالت العجوز وهي تغادر الغرفة متوكئة على عصاها :

ــ عليك الا تتصلي بهذه المس كنج إطلاقاً ، اتفهمين ؟

ــ نعم يا اماه ..

- ٦ -

— هل استطيع التحدث معك لحظة ؟

فاستدارت نادين بسرعة حين سمعت هذه العبارة ، فإذا هي تجد نفسها في مواجهة شابة ، مجهولة لديها تماماً ؛ وإن كانت على جانب كبير من الجمال .

فقالت نادين آلياً وهي تتلفت حولها في قلق :

— نعم نعم . طبعاً .

— ان اسمي ساره كنج .

— اوه ، حسناً .

— مسز لينوكس ، سوف اخبرك بأمر عجيب .. لقد تحدثت مع اخت زوجك مدة طويلة قبل الليلة الماضية .

فطافت سحابة قلق بوجه نادين وهي تقول :

— تحدثت . مع جيني؟

— لا مع كارول .

فانقشعت سحابة القلق من وجه نادين ، وقالت في شيء من الارتياح :

— اوه ؛ فهمت ؛ مع كارول . لكن كيف امكنك هذا ؟

— جاءت الى غرفتي بعد منتصف الليل .

فارتفع حاجبا نادين في دهشة ثم قالت :

– لا شك ان هذا التصرف كان غريباً في نظرك يا مس كنج ؟

– لا لأني انا التي دعوتها .

– اوه ما اسعدني بهذا . اني سعيدة بصداقتك لكارول

– لقد تفاهمنا معاً بسرعة واتفقنا على اللقاء ثانية في الليلة الماضية لكن كارول لم تأت .

– لم تأت ؟

– نعم .. وقد مررت بها امس في بهو الفندق وتحدثت اليها همساً لأذكرها بالموعد لكنها لم تجب علي وانما نظرت الي بسرعة ثم استدارت واندفعت بعيداً عني .

– اهكذا ؟

ولم تستطع ساره ان تستمر في حديثها ..

ومن ثم قالت نادين :

– ان كارول فتاة مرهفة الأعصاب جداً ..

– اني طبيبة يا مسز لينوكس ؛ ولهذا ارى ان عزلة اختك عن المجتمع يضرها نفسياً وبدنياً ..

– اذن فأنت طبيبة ؟ ان هـذا يجعل الموقف مختلفاً . اعني يمكنني التحدث معك بصراحة .

– شكراً ؛ لكن هل ادركت ما اعني ؟

– نعم ؛ لكن حماتي في حالة صحية سيئة وهي تكره اشد الكراهية ان يتدخل الغرباء في شؤوننا الخاصة .

– لكن كارول فتاة رشيدة ؛ من حقها ان تتصرف كما تشاء .

فهزت نادين رأسها وقالت :

– انها بالغة الرشد سناً وجسماً ، اما عقلاً فلا ؛ ولعلك لاحظت هذا اثناء

حديثك معها انها في حالات الطوارىء تتصرف كطفل خائف .

– هل تعتقدين ان هـذا ما حدث ؟ هل امتلأ قلبها خوفاً فلم تحضر في الموعد ؟

– يبدو لي يا مس كنج ان حماتي اكتشفت علاقتك بها فحرمت عليها الحديث معك .

– وهل استسلمت كارول لأوامرها ؟

– هل يمكنك ان تتصوري ان في مقدورها ان تفعل غير هذا ؟

فأدركت ساره من نظرات نادين انهـا ليست على استعداد لمواصلة الحديث في هـذا الموضوع ، كما ادركت انها خسرت اول جولة ضـد المرأة الطاغية .

وصاحت في النهاية

– ان هذا كله خطأ .. خطأ ..

فلم تقل نادين شيئاً ، لكن نظراتها كانت تدل على انها تعرف هـــذه الحقيقة ، وتعرف ايضاً انه لا امل في اصلاح هذا الخطأ ..

وفتح باب المصعد الذي كانتا واقفتين امامه وخرجت منه المسز بونتون متوكئة على عصاها ومعتمدة على ذراع ريموند .

فأجفلت ساره قليلاً حين شاهدت نظرات المرأة العجوز تنتقل من وجهها الى وجه نادين .. واسرعت هذه الى حماتها وشقيق زوجهـــا تاركة ساره واقفة بمفردها ..

فقالت مسز بونتون لنادين :

– اهذه انت يا نادين ؟ حسناً .. اسوف اجلس واستريح قليلاً قبـل ان اخرج ..

وجلست نادين بجوارها تنصت اليها وهي تسألها قائلة :

– مع من كنت تتحدثين يا نادين ؟

-- مع نزيلة هنا تدعى المس كنبج ..

. آه . الفتاة التي تحدثت مع ريموند في تلك الليلة ؛ حسناً لماذا ؟ لا تذهب وتتحدث معها يا ريموند الآن ؟ انها هناك عند مائدة الكتابة في قاعة المكتبة ..

وارتسمت على وجه العجوز ابتسامة خبيثة وهي تتأمل ريموند .

وكان وجه الشاب قد اضطرم بشدة ، واشاح برأسه وهو يتمتم بكلمات غامضة .

لماذا لا تجيب يا ولدي ؟

- اني لا اريد ان اتحدث معها .

حقاً ؟ انك لا تريد ان تتحدث معها ام انك لا تستطيع رغم لهفتك الى الحديث معها ؟

ثم أخذتها نوبة سعال حاد ، فلما هدأت قالت لنادين :

- اني مستمتعة بهذه الرحلة يا نادين ، وما كنت لأحرم نفسي منها بأي ثمن .

- حسناً يا أماه .

- ريموند !

- نعم يا أماه .

- أحضر لي ورقة كتابة من طاولة الكتابة التي في قاعة المكتبة .

ومضى ريموند مطيعاً ، وراحت نادين ترقب المرأة العجوز وهي تتأمل ريموند بنظرات أفعوانية وابتسامة خبيثة . ومشى ريموند قرب ساره فرفعت هذه وجهها مشرقاً بالأمل لكن الأمل انطفأ فجأة حين مضى في طريقه حيث تناول بضع أوراق بيضاء وعاد بها إلى زوجة أبيه وقد شحب وجهه وتصبب العرق على جبينه .

فتنهدت العجوز بارتياح وهي تتأمل وجه الشاب . وفجأة رأت نظرات

نادين مركزة عليها . فاستشاطت غضباً وقالت :

- لقد نسيت تناول نقط القلب ، هاتيها لي يا نادين .

- بكل تأكيد .

وعبرت نادين البهو إلى المصعد ، فشيعتها المسز بونتون بنظرات أفعوانية . أما ريموند فقد ظل جالساً ووجهه ينطق باليأس العميق

وصعدت نادين الى الطابق العلوي ، فمشت في الممر وعبرت غرفة الجلوس في جناح الأسرة ، فرأت لينوكس جالساً في صمت بجوار النافذة ، وقد فتح كتاباً لا يقرأ فيه .

ولما شاهد نادين قال متنبهاً من شرود أفكاره :

- آه ، نادين ؟.

- لقد جئت لأحضر نقط القلب لوالدتك ؛ إنها نسيتها .

ودخلت غرفة نوم المسز بونتون ، وهناك وضعت في نصف كوب ماء عدد النقط المطلوبة تماماً من قنينة صغيرة ، ولما عادت الى غرفة الجلوس ، توقفت وقالت :

- لينوكس !.

ومرت برهة قبل ان يجيب ، وكأن نبرات صوتها كانت تأتي اليه من بعيد .

فوضعت نادين الكوب بعناية على منضدة قريبة ، ثم وقفت بجوار زوجها وقالت له :

- لينوكس ! أنظر إلى ضوء الشمس .. هناك ، خارج النافذة ، أنظر إلى الحياة ! اليست جميلة ؟ في مقدورنا ان نستمتع بها بدلاً من بقائنا في هذا المكان .

فقال ببلادة :

- إني آسف ، هل تريدين ان نخرج لنتمشى قليلاً ؟

فقالت بسرعة

— نعم ، أريد ان أخرج معك لنتمشى في الحياة .. لنعش حياتنا سعيدين، في أي مكان .

فانكمش في مقعده ، وبدت في عينيـــه نظرات الطائر الذي وقع في الشبكة ، ثم قال :

- نادين ، يا عزيزتي ، هل يجب ان نعود إلى الحديث في هذا الأمر مرة أخرى ؟

— نعم يجب ، يجب ان نمضي لنعيش حياتنا في مكان ما .

— كيف يمكن هذا ونحن بلا مال ؟

- يمكننا ان نكسب ما نحتاجه من مال .

— كيف يمكننا هذا . ماذا أستطيع أن أفعل ؟ إني لا أحسن القيام بعمل لكسب المال ، إني بلا مؤهلات ، وهناك آلاف من الشبان والرجـــال المؤهلين العمل لا يجدون أعمالاً ، فكيف أستطيع انا !

— سوف أكسب ما نحتاج اليه كلانا .

— يا طفلتي العزيزة ، انك لم تظفري بشهادتك في التمريض ، إن هذا هو المستحيل ، ليس أمامنا أي أمل .

— لا ، إن حياتنا هذه هي المستحيلة ، هي التي لا أمل فيها .

— انك لا تعرفين ماذا تقولين . إن أمنا تعاملنا بكرم إنها تحيطنـــا بكل ألوان الترف

— إلا الحرية .. لينوكس ، يجب ان نحـــاول .: تعال معي اليوم .. الآن ..

— نادين ، هل جننت ؟

— لا ، إني عاقلة . عاقلة تماماً . اني أريد الحياة ، اريد ان أنعم بالحرية معك في ضوء الشمس مع الناس وليس في ظل هذه الطاغية التي تستمد

سعادتها من شقائنا. إصغ إلي يا لينوكس اني أحبك وان بيني وبين زوجة ابيك معركة حياة او موت فهل ستقف بجانبي أم بجانبها ؟

– بجانبك طبعاً .

– إذن إفعل ما أطلبه منك .

– هذا مستحيل .

– لا ! ليس مستحيلا يا لينوكس، إننا لم نعد أطفالاً بل في إمكاننا الآن ان ننجب أطفالاً .

– إن أمي تريد هذا .. وقد تمنته كثيراً .

– اني اعرف ، ولكني لن أنجب اطفالاً ليعيشوا معنا في هذا السجن . إن امك تستطيع ان تؤثر عليك لكنها لا تستطيع هذا معي .

فغمغم لينوكس قائلا :

– انك تثيرين غضبها أحياناً وليس هذا من الحكمة في شيء .

– إنها تغضب حين تتبين عجزها عن السيطرة على افكاري .

وبعد برهة صمت قالت :

– هل ترفض إذن ان تخرج معي من هذا السجن الى الحياة . حسناً اني لن أرغمك . ولكني حرة في الخروج منه ، وأعتقد ان هذا ما سوف أفعله .

فحملق فيها مبهوتاً وتمتم قائلا في تلعثم :

– لكن ، لكن أمي لن توافق على هذا .

– انها لا تستطيع ان تمنعني .

– ومن أين لك المال ؟

– سوف اقترضه او استجديه او أسرقه .. وعليك ان تفهم يا لينوكس انه ليس لأمك أي سلطان علي . اني أستطيع ان أمضي او ابقى حسب رغبتي وقد بدأت أشعر اني لم اعد اطيق البقاء هنا اكثر من هذا .

ـ نادين ! لا تتركيني ارجوك ، لا تتركيني .

وعاد يكرر ذلك حين رآها تنظر اليه مفكرة دون ان يعبر وجهها عن شيء .

وكان ملهوفاً كطفل خائف ، واشاحت بوجهها حتى لا يرى الألم العميق الذي ارتسم في عينيها .

فركعت هي بجانبه قائلة :

ـ اذن تعال معي .. تعال معي ! انك تستطيع . نعم انك تستطيع لو أردت .

لكنه تراجع عنها بعيداً وتمتم قائلا :

ـ لا استطيع ليست لي الشجاعة على مواجهة الحياة .

- ٧ -

عندما دخل الدكتور جيرار مكتب كاسل للسياحة وجد ساره كنج واقفة هناك .

وقد بادرته قائلة بعد أن القت عليه تحية الصباح :

- اني أتفق مع مدير المكتب على رحلة إلى مدينة بترا الأثرية وقد بلغني انك ذاهب اليها ايضاً .

- نعم لقد وجدت ان في مقدوري الذهاب اليها .

- اني سعيدة بهذا .

- ترى هل ستكون جماعة كبيرة العدد ؟

- يقولون ان هناك امرأتين اخريين . وانت وانا والمرشد السياحي في عربة واحدة .

فانحنى جيرار وقال :

- اني سعيد بهذا ايضاً .

ثم التفت الى مدير المكتب وأتم إجراءات القيام بالرحلة

وبعد قليل عاد فانضم إلى ساره وهو يمسك ببريده الخاص . وغادر المكتب الى الخارج حيث كان الجو صافيا والهواء منعشا وان كان على شيء من البروده .

وسألها جيرار قائلا :

– ماذا وراءك من انباء عن اصحابنا آل بونتون ! لقد امضيت هذه الأيام الثلاثة الأخيرة في رحلة الى بيت لحم والناصرية وغيرهما من الأماكن التاريخية .

فراحت ساره تسرد عليه مجهوداتها الفاشلة لتوطيد علاقتها ببعض افراد عائلة بونتون .

ثم اختتمت حديثها قائلة :

– ولكنني فشلت في محاولاتي على أية حال وسوف يرحلون عن الفندق اليوم .

– الى أين ؟

– لا اعرف .

ثم اردفت قائلة باستياء :

– اني اشعر بحماقتي في تصرفاتي مع هذه الاسرة !

– لماذا ؟

– ان محاولة التدخل في شؤون الغير حماقة كبرى !

فهز جيرار كتفيه وقال :

– العبره بالهدف من هذا التدخل . اذا كان الهدف خيراً ، فلا بأس !

واعتقد انك اردت التدخل في شؤون هذه الأسره بدافع من العطف على بعض افرادها البؤساء !

– ولكنني لم انجح في شيء !

– وماذا لو انك واصلت مجهوداتك ؟

– هل تعتقد ان هناك املا لي في مساعده ريموند ؟

– نعم !

فتنهدت ساره وقالت :

– كان يجب ان اواصل المحاولة ، لكن الوقت قد فات !

* * *

كان بهو الفندق مسرحا لنشاط كبير بسبب استعداد عدد من النزلاء للقيام ببعض الرحلات الى الأماكن الأثرية !

وامام باب الفندق الكبير كان ثمة عدد من السيارات المحملة بالأمتعة تتأهب للانطلاق ، وكان لينوكس بونتون وزوجته نادين والمستر كوب واقفين امام سيارة فارغة يشرفون على اعدادها للرحيل .

وفي البهو رأت ساره مسز بونتون جالسة في مقعد ، وملتفة بمعطف كبير في انتظار البدء بالرحيل .

وشعرت باشمئزاز غريب وهي تنظر الى تلك المرأة التي بدت لها كرمز للشر والقسوة .

وفجأة أحست بالعطف عليها .. لقد تذكرت أن هذه المرأة ولدت هكذا ، وان الميل الشديد إلى السيطره والاستبداد نشأ معها منذ طفولتها وان على الانسان ان يلتمس لها بعض العذر ، وان يشفق عليها ويحاول ان يفهم ظروفها .

ولو ان أبناءها ، أو أبناء زوجها على الأصح ، نظروا اليها بعين ساره في تلك اللحظة ، لأشفقوا عليها ورثوا لحالها ، لأن ساره كانت تراها من زاوية جديدة ، من زاوية جعلت المرأة في نظرها ، مخلوقة تستحق العطف والرثاء .. مخلوقة حمقاء ، شريرة بطبعها ، عجوزاً سيئة الصحة .

فتقدمت ساره نحوها بجرأة وقالت لها :

ـ طاب يومك يا مسز بونتون ، ارجو ان تكوني قد استمتعت برحلة جميلة .

والقت العجوز عليها نظرات امتزج فيها الشر مع الغضب المكبوت ، ثم أشاحت بوجهها دون ان تجيب

وهنا قالت ساره :

ـ انك تعامليني بخشونة لا مبرر لها يا مسز بونتون .

وقالت لنفسها :

ـ ما هذه الحماقة يا ساره ، ما لك ولهذه العجوز الغريبة عنك !

وهنا استطردت قائلة للعجوز :

ـ انك تحاولين ان تمنعيني من صداقة ريموند وكارول ، ألا تدركين أن هذه محاولة صبيانية حمقاء ؟ انك تريدين ان تجعلي من نفسك صنماً يعبد ، لكنك في الواقع مخلوقة تستحق الرثاء والشفقة ، ولو كنت مكانك لتخليت عن كل هذه الحركات المسرحية ، ولا شك انك ستزدادين كراهية لي بسبب هذه الصراحة ، لكني لست نادمة لأني ارجو ان تعيدي النظر في تصرفاتك وتحاولي ان تسمدي نفسك باسعاد الناس حولك .

وتوقفت ساره عن الحديث برهة ، وكانت المسز بونتون قد تجمدت في مقعدها ، وبذلت محاولات جمة لتقول شيئاً لكن لسانها ظل يلعق شفتيها الجافتين دون ان تتمكن من قول كلمة بصوت مسموع .

وعادت ساره تقول في تحد

ـ تكلمي ! قولي ما شئت ، إني لن أهتم بما ستوجهينه إلي من عبارات قاسية . لكن لا تنسي أن تفكري دائماً فيما قلت لك ، حاولي ان تستمدي سعادتك من إسعاد الذين حولك .

وأخيراً خرجت الكلمات من شفتي العجوز في صوت خافت متحشرج نافذ

وكانت نظراتها وهي تتكلم غير مركزة على وجه ساره ، وإنما إلى شيء خلفها وكأنها كانت تتحدث إلى شبح :

— إني لا أنسى أبداً ! تذكري هذا ! إني لا أنسى شيئاً أبداً ، لا أنسى تصرفاً ، ولا اسماً ، ولا وجهاً !

ولم تكن الكلمات نفسها تعبر عن شيء معين ، ولكن الصوت كان رهيباً مفزعاً .. وكانت الضحكة الجوفاء التي أعقبته أشد رهبة وإفزاعاً مما جعل ساره تتراجع خطوة .

ثم تقول وهي تهز كتفيها :

— يا لك من مخلوقة عجوز بائسة !

واستدارت عنها إلى المصعد ، وفيما هي تتجه اليه ، إذا بها تكاد تصطدم بريموند ، وإذا هي تقرر بغتة ان تتحدث اليه .

فقالت باسمة :

— طاب صباحك ، ارجـو ان تكون قد نعمت بإقامتك هنا ، ولعلنا نلتقي ثانية ذات يوم .

ثم مرت بجانبه في سرعة ، وتسمر ريموند في مكانه ، وقـد استغرق تماماً في أفكاره بحيث لم يستطع ان يفسح الطريق للرجل القصير الأصلع ذي الشارب الكبير ، الذي كان يحاول الخروج من المصعد في تلك اللحظة أكثر من مرة .

فقال الرجل القصير لريموند :

— عن إذنك .

فتراجع ريمون وقد أفاق بغتة وقال :

— عذراً ؛ قد كنت مشغول الفكر .

فأقبلت كارول عليه وقالت له :

— ريموند . إذهب وعد بجيني .. لقد صعـدت إلى غرفتهـا ، ولم

قعد بعد !

– حسنا ، سوف أخبرها بأننا على وشك الرحيل .

وتقدم ريموند إلى المصعد

فوقف الرجل القصير الأصلع هيركيول بوارو ينظر اليه برهة وقد رفع حاجبيه .

ومال قليلاً برأسه كأنما ينصت إلى شيء .

وأخيراً أومأ برأسه كأنما رضي عن شيء ما .

ثم مضى الى البهو ، ونظر بامعان الى كارول ، التي انضمت الى زوجة أبيها .

وأشار بوارو إلى احد خدم الفندق ، ثم سأله وهو يومىء برأسه إلى المسز بوتتون وكارول :

– هل يمكن ان تخبرني باسم هذه السيدة الجالسة هناك ؟

– إنها المسز بونتو وأسرتها ، أمريكيون .

– شكراً .

وفي الطابق الثالث ، وبينما كان الدكتور جيرار متجهاً نحو غرفته ، رأى ريموند وجنيفرا في طريقهما الى باب المصعد للهبوط . وعند الباب ، قالت جنيفرا لريموند :

– انتظرني هنا لحظة يا ريموند

ثم أسرعت راجعة ولحقت بالدكتور جيرار عند منعطف الممر الطويل فأمسكت بذراعه وقالت في لهفة وخوف :

– انهم سيأخذونني بعيداً ، وقد يقتلونني ، اني لست واحدة منهم ان اسمي ليس بونتون .

ثم اردفت قائلة بسرعة بالغة :

– سوف أفضي اليك بسر خطير ، اني من عائلة مالكة ، وارثة لعرش

دولة كبيرة ، ولهذا فإن الأعداء يحيطون بي من كل جانب . انهم يحاولون قتلي بالسم ، أيمكن ان تساعدني .

وابتعدت عنه حين سمعت وقع أقدام ريموند ثم صوته وهو يقول :

— جيني . .

فنظرت في لهفة وتوسل الى جيرار ثم قالت لأخيها :

— اني آتية حالاً يا ريموند . .

ولما انصرفت رفع الدكتور جيرار حاجبيه ، وهز رأسه وقد خامره احساس بالأسف الشديد .

- ٨ -

كان ذلك الصباح هو الموعد المحدد لبدء الرحلة الى مدينة بترا ، وقد رأت سارة ، حين هبطت لتستقل العربة المأجورة المجهزة للرحلة ، سيدة في منتصف العمر كبيرة الأنف ، سبق ان لمحتها في الفندق . وكانت السيدة تعترض على حجم العربة المأجورة ، وتقول لمندوب المكتب السيـــاحي بلهجة احتجاج:

- ان هذه السيارة لا توفر لنا الراحة اللازمة لرحلة طويلة ولهذا أصر على ان نستبدل بها عربة واسعة مريحة .

ولما استدارت ورأت ساره قالت لها :

. آه !. مس ساره كنج .. انك زميلتنا في الرحلة بهذه السياره . ما رأيك ؟ اليست اصغر من ان توفر لنا الراحة المطلوبة ؟ اني الليدي وستولم ..

فقالت ساره بحذر :

- اعتقد انك على حق يا ليدي وستولم .

ولم يسع المندوب الشاب ، لمكتب السياحة ، الا ان يقبل في النهاية احضار سياره مأجورة ، أكبر حجما من تلك التي اعترضت عليها الليدي وستولم ..

وكانت هذه السيدة ، الليدي وستولم ، شخصية معروفـــة في الوسط السياسي بانجلترا . وكان زوجها اللورد وستولم قد تزوجها أثناء عودته بالباخرة من رحلته الى امريكا .

ولما كان هو بطبيعته وادعا مسالما ، يهوى الصيد بكل الواعه ، فقد قررت هي ان تحل محله في مجلس اللوردات ، وان تقتحم الميدان السياسي ارضاء لنزعتها في الميل الى الجدل والمناقشة والاشتراك في المناورات السياسية التي تسقط وزاره وتقيم أخرى .

ولما أقبل الدكتور جيرار ، قدمته ساره الى الليدي وستولم التي قالت له وهي تصافحه بحراره :

ــ ان اسمك ليس غريبا عني ، لقد كنت أتحدث مع البروفسور شانتو في باريس في الشهر الماضي ، وقد تحدثنا عن بحوثك في علم النفس ، ونحن نتبادل الرأي فيما ينبغي ان تفعله الحكومات المتحضره من أجل المرضى بالأمراض العقلية والنفسيـــة .. هل ندخل الى البهـــو ، لننتظر السياره الأخرى ؟

وأقبلت في تلك اللحظة الراكبة الرابعة ، المس اميلي بيرس . وكانت آنسة في منتصف العمر وديعة الخلق متوسطة الجمال ، متردده في احاديثها . وقد عرفت ساره ، فيما بعد انها كانت مربية اطفال ولما ورثت من عمها الراحل ثروه صغيره .. انتهزت أول فرصة للقيام برحلة خارج انجلترا .

فقالت الليدي وستولم حين جلس الركاب الأربعة في بهو الفندق :

ــ انك طبيبة يا مس كنج اليس كذلك ؟

ــ نعم تخرجت هذا العام .

ــ آه ، اننـــا ، معشر النساء ، نغزو الآن جميـــع المجالات ، ولست أشك في ان آمال البشرية ، في السلام والرخاء ، سوف تتحقق

على أيدينا .

ووصلت السيارة الكبيرة ومعها المرشـــد المرافق ، فانطلقت بهم في رحلتها الطويلة . وعند الظهر توقفت في استراحة على ضفة البحر الميت ، ليتناول الركاب الغداء ، ولما استؤنفت الرحلة ، شعرت سارة بالنـــدم على القيام بها . فقد خامرها إحساس عميق بالضيق والملل وهي تسمع صوت الليدي وستولم المرتفع ، وغمغمة المس امبل بيرس الخجول ، وثرثرة المرشد ، بل ضاقت بابتسامة الدكتور جيرار الذي كان يعرب بها عن فهمه لما يدور في نفسها .

وتساءلت في نفسها :

- أين ذهب آل بونتون ! لعلهم رحلوا إلى سوريا .. وربما وصلوا إلى بعلبك او دمشق .. وريموند ؟ ترى ماذا يفعل الآن ؟ إنها تتخيل وجهه بوضوح . وجهه الملهوف المتوتر الأعصاب .

آه ! لماذا تمعن التفكير في أسرة ربما لن تراها أو تلتقي بها ثانيـــة في حياتها . وانها لتتذكر حديثها مع المسز بونتون .. لا شك ان هناك من سمعها ، فقد كانت الليدي وستولم جالسة في البهو عند ذلك .

كانت هذه الأفكار تشغل ذهن ساره وهي جالسة في حديقة فندق بمدينة عمان في اليوم التالي من بدء الرحلة . وقد قطع عليها أفكارها هذه الدكتور جيرار حين جاء من الخارج وجلس بجوارها قائلاً وهو يمسح بمنديله العرق عن وجهه :

- بالله ! إن هذه المرأة يجب ان تموت مسممة ..

- من ؟. المسز بونتون ؟.

- لا ! أعني الليدي وستولم . إني لا أعلم كيف استطاع زوجها ان يحتملها كل هذه السنوات ؟

فضحكت ساره وقالت :

ـ إنه يقضي معظم وقته في الصيد والرياضة .
ـ لولا هذا لمات غماً ! .
ـ لا شك انه فخور بنشاط زوجته السياسي .
ـ بل قولي سعيد ، لأن هذا النشاط يشغلها عنه !

* * *

وفيما كانت السيارة تقطع طريقاً صحراوياً تمتد الرمال والجبال على جانبيه إلى مدى البصر ، قالت المس أمبل لساره :

إن الانسان ليتمنى لو رأى بعض الأشجار الظليلة هنا أو هناك ، ولكنني أعتقد مع هذا أن هذا الفضاء الرحيب رائع في ذاته . أليس كذلك يا مس كنج ؟

فأومأت سارة برأسها وقالت :
ـ نعم .. إن هذا الفضاء رائع فعلا ..

ودارت تفكيرها حول الفضاء .. إنه يثير الإحساس بالسكينة والهدوء . ليس فيه بشر يملأون النفس بالضيق والاكتئاب ، ليس فيه مشاكل نابعة من علاقات الانسان بغيره . إنها الآن تشعر بالخلاص من أمر عائلة بوئتون . تشعر بالخلاص من رغبة التدخل في شؤون أشخاص بعيدين عنها كل البعد . وإن هذا الشعور ليملأ نفسها بالسكينة والرضى ، هنا وحدة وعزلة وفراغ وفضاء ، هنا في الواقع سلام وصفاء

ووصلت السيارة بهم إلى قرية عين موسى حيث كان من المقرر أن يتركوها ليستأنفوا الرحلة على ظهور الجياد ، فنظرت المس أمبل إلى هذه الركائب في قلق لأنها لم تستعد لها بملابس الركوب . لكن الليدي وستولم

كانت تعرف سلفاً انها ستقطع الجزء الأخير من الرحلة على ظهر حصان ، فاستعدت بملابس الركوب .

فاقتيدت الجياد بركابها عـــبر القرية إلى ممر صخري وعر ، كانت الأحجار تتساقط على جانبيه كلما مرت عليه الجياد بحوافرها. وكانت الشمس قد مالت تماماً عند خط المغيب ، ولكن الجو ظل حاراً خانقاً ، وكانت ساره لا تزال تشعر بالتعب من جلوسهـــا في السيارة ، حتى بلغت من فرط شعورها بالإرهاق حد التخـــدير ، ومن ثم كان يخيل اليها انها تسير في حلم .

وأضيئت المصابيح ، وظلت الجياد في مسيرها ، وبغتة انتهى الممر إلى وادي فسيح تراجعت عنده التلال والروابي؛ وعلى مسافة غير بعيدة في الوادي رأت مجموعة من الأضواء .

وقال المرشد :

ـــ هذا هو المعسكر .

فأسرعت الجياد في خطوها . . وازدادت الأضواء اقترابـاً ، وأصبح من الممكن رؤية الخيام المتناثرة على ضفة نهر صغير كانت أضواء المعسكر تتراقص على صفحة مائه

فاستطاعت ساره وهي تزداد قرباً من المعسكر أن ترى على الصخور المرتفعة فوق المعسكر ، فتحات كهوف أعدتها سلطات المدينة لتكون غرفاً للنوم لمن يكره من السياح أن ينام في الخيام

وسارع بعض العربان من عمال مكتب السياحة إلى استقبال الوافدين . لكن ساره ظلت مثبتة نظراتها على باب أحد الكهوف المرتفعة لأنها رأت فيه شبحاً جالساً بلا حراك .

ترى ماذا يكون ؟. أهو صنم ، أم تمثـال أثري منحوت أمام باب ذلك الكهف ؟

لا .. إن انعكاس الضوء عليه جعله يبدو ضخماً رهيب المنظر .. إنه ولا شك مجرد تمثال من الحجر ، يطل على المعسكر في رهبة وصمت ..

وبغتة خفق قلبها بعنف حين تبينت حقيقة ذلك التمثال ، إنه لم يكن تمثالاً من حجر وإنما من لحم ودم ، إنه لم يكن غير تلك المرأة العجوز البدينة المسز بونتون .

وشعرت ساره بإحساس الأسير الذي خيل اليه انه ظفر بحريته ، بينما لم يكن في الواقع إلا عائداً إلى الأسر .

إن المسز بونتون هناك .. في بترا .

فراحت ساره تجيب ، آلياً عن الأسئـلة التي وجهها مندوب مكتب السياحة في المدينة هل تريد أن تتناول العشاء فوراً ؟ هل تحب أن تغتسل أولاً ؟ هل تفضل النوم في خيمة أو في كهف ؟

فأجابت عن السؤال الأخير بسرعة :

ـ في خيمة !

لأن مشاهدتها لتلك العجوز الرهيبة وهي جالسة أمام باب كهف جعلها تنفر من مجرد النوم في واحد منها .

فقالت لنفسها :

« إن شيئاً ما في هذه المرأة يجعلها تبدو غير آدمية » .

وأخيراً تبعت أحـد العمال العرب ، وكان يرتـدي بنطلوناً خاكي اللون ، وسترة خاكية وعلى رأسه عقال ، فأعجبت ساره بالخفة التي يسير بهـا العامل العربي مع رفع رأسه عالياً في كبرياء وثقة بالنفس .

فأحست ، حين دخلت خيمتها ، انها بلغت من التعب حداً كبيراً ، لكن الماء الساخن الذي اغتسلت به ، خفف من شعورها بالتعب وأعاد اليها ثقتها بنفسها مما جعلها تخجل من فزعها حين رأت المسز بونتون .

وتركت الخيمة ، وهبطت إلى حديقة الاستراحـــة الكبيرة حيث سمعت خلفها صوتاً يقول بدهشة ولهفة :

ــ أنت هنا ؟

فلما استدارت بسرعة ، رأت أمامها ريموند بونتون يكاد يخرج عن طوره من فرط الدهشة الممزوجـة بالسعاده . كان كالانسان المعذب الذي شاهد بغتة باب الجنة يفتح له . وإن ساره لم تنس في حياتها كلها ، بعد ذلك ، هذه النظرة .

فصاح الشاب قائلاً مرة أخرى :

ــ أنت ؟

ونفذت نبرات الصوت السعيد الملهوف إلى أعماق نفسها ، وجعلت قلبها يتراقص في صدرها ..

فقالت بصوت متهدج :

ــ نعم أنا .

وتقدم نحوها في ذهول الذي لا يصدق عينيه فتناول يدها بين يديه بغتة وقال :

ــ إنك أنت حقا ؟ فقد خيل لي أني أرى شبحك فقط . طيفك .

وصمت برهة قبل ان يردف قليلاً :

ــ إني أحبك ، أحبك أنت تعرفين هذا ، أحببتك منذ شاهدتك أول مرة في القطار . إني أعرف هذا الآن ، وأحب ان تتأكدي منه حتى تعلمي أن تصرفاتي غير اللائقة نحوك إنما كان لها سبب خارج عن إرادتي . بل اني قد أكرر هذه التصرفات هنا أيضاً ، قد أمر بك دون ان أحدثك أو أرد على حديث لك وكأني لا أعرفك. انها حين تطلب مني ان أفعل شيئاً ، فلا بد ان أفعله ، إحتقريني إن شئت .

فقالت بصوت كله عذوبة :

ـ إني لا أحتقرك يا ريموند .

ـ ولكني رغم هذا إنسان ضعيف ، يجب .. يجب ان أتصرف كرجل ، نعم ، هذا ما ينبغي ان أفعله .

ـ انك ستفعل هذا ياريموند

فرد قائلاً في حزن :

ـ أحقاً ؟ . ربما ؟ .

ـ ان الشجاعة لا تنقصك ، اني واثقة بهذا ..

وشد قامته فرفع رأسه عالياً ثم قال بصوت حازم :

ـ الشجاعة ! نعم ، ان هذا هو ما أحتاج اليه ، الشجاعة .

ثم انحنى وقبل يدها ، وبعد لحظة استدار وانصرف .

* * *

في حديقة الاستراحة شاهدت ساره زملاء السفر الثـــلاثة جالسين إلى طاولة يأكلون ، وكان المرشد السياحي يقول لهم ان هناك في المنطقة جماعة أخرى من السياح :

ـ جاءوا منذ يومين . وسيرحلون بعد غد .. انهم أسرة أمريكية ، الأم بدينة جداً ، وقـــد تحملنا مشقة بالغـــة في حملها على مقعد ، الى هذه المنطقة .

فقالت الليدي وستولم :

ـ لا شك انها تلك الأسرة الامريكية التي شاهدتها في فندق الملك سليمان . انني لا أنسى منظر الأم العجوز البدينة ، التي رأيتك تتحدثين اليها يا مس كنج .

فاضطرم وجه ساره ، وخشيت ان تكون الليدي وستولم سمعت طرفاً من ذلك الحديث الشاذ .

لكن الليدي استطردت تقول :

ـ انها أسرة عادية جداً .. ومتحفظة الى أقصى حد .

اجتمع الأربعة في السادسة من صباح اليوم التالي على طاولة الافطار . ولم يكن ثمة أثر لأسرة بونتون في ذلك الوقت . وبعد ان فرغوا من الطعام ، خرجوا معاً للفرجة على الأماكن الأثرية . وما كادوا يبتعدون عن المعسكر حتى سمعوا شخصاً يهتف بهم ويطلب منهم ان يسمحوا له بالانضمام اليهم . وكان ذلك الشخص الجديد هو المستر جيفرسون كوب ، الذي قال وهو يلهث :

ـ اذا لم يكن لديكم مانع ، فإني أحب الانضمام اليكم . طاب صباحك يا مس كنج انها مفاجأة سارة ان أراك هنا يا دكتور جيرار ما رأيك في هذا المنظر ؟

وأشار الى الصخور الحمراء التي تتكون منها المدينة الأثرية . فردت ساره قائلة :

ـ ان منظرها رهيب ، فقد كنت أتخيلها دائماً على انها « المدينة الوردية » لكن لونها يشبه لون اللحم البقري الأحمر .

ومشى السائحون بقيادة اثنين من الأدلاء العرب في المنطقة الأثرية الوعرة ، فراحوا يصعدون جبلاً من الصخور الحمراء عن طريق ممرات متعرجة شديدة الارتفاع حيناً منبسطة أحياناً .

وكانت المس اميل بيرس لا تكف عن الشكوى قائلة انها لا تستطيع النظر الى أسفل من مكان مرتفع .

وقال الدكتور جيرار للدليل محمود :

ـ هل تجد مشقة دائماً في قيادة بعض السائحين الكبار سناً ؟

فرد محمود بابتسامة هادئة :
— نعم .. ولكنهم يصرون دائماً على الصمود ، برغم ما ينـالهم من الارهاق .

وتنهدت ساره في ارتياح عندما وصلوا جميعاً الى القمة ، وكانت المنطقة الصخرية الحمراء تمتد أمامهم وأسفلهم في جميع الاتجاهات .

فقال لهم الدليل :
— هنا في هذا المكان نزل على سيدنا إبراهيم الكبش الذي ضحى به بدلاً من التضحية بابنه اسماعيل .

وانفصلت ساره عن زملائها ، وتجولت بعيداً عنهم بعض الشيء ، وفيما هي واقفة فوق مرتفع ، مستغرقة في التفكير ، اذا بالدكتور جيرار يقف بجوارها ويقول :
— ان هناك شيئاً هاماً يشغل بالك .

فرفعت اليه وجهاً كله حيره وقالت :
- نعم ، انني أفكر في الموت أحيانا يكون حلاً لمشكلات كثيرة .. وان فكرة الفداء لها ما يبررها .. ان التضحية بشخص قد تكون ضرورية لحياة أشخاص كثيرين .

فهز الدكتور جيرار رأسه وقال :
— اننا معشر الأطباء لا ننظر الى الموت الا من زاوية واحدة ، وهي زاوية العداء ، انه عدونا الأول .

وقبل ان ترد عليه ، وصل اليها المستر كوب الأمريكي ، وقال :
— ان هذه المنطقة رائعة فعلاً ، وانني سعيد بمشاهدتها .. ان المسز بوينتون مخلوقة ممتازة لأنها هي التي أصرت على الحضور لنشاهدها جميعا .. ولولا هذا لما حضرت .

واستطرد يقول متأثراً :

- انها سيدة طيبة القلب ، لكن صحتها ليست على ما يرام ، وهذا ما يجعلها تبدو غليظة الطبع أحيانا ، وان السفر معها يضاعف المشقة ولكنها تصر على ان تصحب أبناءها الى كل مكان ، انها من فرط رعايتها لهم لا تحب ان تتركهم بعيداً عن عينيها .

ثم عاد يقول :

- الا أنني سمعت شيئا عنها منذ مدة قريبة

وكانت ساره قد عادت الى الاستغراق في أفكارها وكان صوت المستر كوب يصل الى أذنيها كأنه خرير جدول بعيد

أما الدكتور جيرار فقد قال المستر كوب :

- وما هذا الذي سمعت ؟

- حدثتني سيدة قابلتها في فندق بمدينة طبرية ان خادمة كانت تعمل في قصر المسز بوئتون ، ثم اكتشفت انها حامل . ولم تغضب المسز بوئتون ، وانما تحايلت على الخادمة ، ثم طردتها ، قبل ان تضع مولودها بشهر تقريبا .

ورفع الدكتور جيرار حاجبيه وقال :

- أهكذا .

- نعم .. ان السيدة التي أخبرتني بهذا واثقة مما تقول . وانني لأعتبر هذا التصرف غاية في القسوة . ولا أدري لماذا ؟

فقاطعه جيرار قائلا :

- المؤكد ان ما حدث أسعد المسز بوئتون كل السعادة .

فحملق المستر كوب في وجهه مبهوتا وقال :

- أترى هذا ؟ انني لا أظن . ان هذا التصرف ينطوي على قسوة غير انسانية اطلاقا ..

فقال الدكتور جيرار بهدوء :

– لقد قمت ببحوث عديدة ، عن العقـــل البشري ، انتهيت من هذه البحوث الى أن العقـل البشري لا يعرف ، حـالات معينة ، حـدوداً للقسوة .

– أخشى ان تكون مبالغة يا دكتور جيرار ، آه ، إن الهدوء هنا رائع جداً ، وساره بعيدة عنه .

وعاد جيرار ينظر إلى ساره ، فرآها مستغرقـة في التفكير ، مقطبة الجبين . وسمع المس أميل بيرس تقترب منه قائلة :

– إننا في طريق العودة . أوه ! أخشى ان أعجز عن الهبـوط ، لكن الدليل يؤكد لي اننا سنهبط من ممر آخر أقل انحداراً .

ولكن المس بيرس استطاعت ، رغم مخاوفها ، أن تعود مع زملائها إلى المعسكر في موعد الغداء. وكانت الساعة قد تجاوزت الثانية بعد الظهر بقليل وكانت أسرة بوئنتون قد فرغت من طعامها واستعدت لترك الطاولة بحديقة الاستراحة .

فقالت الليدي وستولم للأسرة موجهة الحديث لكارول :

– إن الصباح اليوم كان جميلاً جداً وبترا مدينة رائعة .

ونظرت كارول إلى زوجة أبيها ثم غمغمت قائلة :

– نعم . نعم، إنها حقاً كذلك .

وقالت المس أميل بيرس :

– سوف أستريح بعد الغداء ، لأني لن أستطيع القيام بمجهود كبير بعد ما تحملته من عناء هذا الصباح .

فقالت الليدي وستولم :

– ربما أفعل هذا أيضاً يا مس بيرس ، سوف أستريح نحو ساعـة ثم أقوم بجولة خفيفة لمدة ساعتين .

ونهضت المسز بوئنتون ببطء عن مقعدها بمساعدة لينوكس، ثم وقفت وقالت

لأفراد أسرتها :

– يحسن ان تقوموا جميعاً بجولة بعد ظهر اليوم لرؤية المنطقة .

فارتسمت الدهشة على وجوه أفراد أسرتها وقال لينوكس في النهاية :

– وأنت يا أماه ، ماذا ستفعلين ؟

– إني أشعر بتعب وصداع ، ولهذا سأجلس وأتسلى بقراءة كتاب ، أما جيني فستأوي إلى فراشها لتنام .

– إني لست متعبة يا أماه ، إني أريد الذهاب معهم .

– إنك متعبة وتعانين من صداع ويجب ان تحافظي على نفسك . إذهبي ونامي إني أعلم ما ينبغي أن تفعليه .

– ولكني .. ولكن ..

وحاولت الفتاة ان تتمرد ، لكنهـــا لم تلبث أن أحنت رأسها في استسلام وخضوع .

وقالت الأم :

– يا طفلتي الحمقاء ، إذهبي الى خيمتك .

ومضت الفتاة غاضبة تضرب الأرض بقدميها . فانصرف بقية الموجودين والمسز بيرس تقول :

– يا لهم من قوم غريبي الطباع. وتلك الأم . يا للون وجهها العجيب ، إنها زرقاء اللون ، أمله القلب ، ولعل الحر يؤذيها .

وقالت سارة لنفسها :

– لقد تركتهم أحراراً الآن .. فهي تعلم ان ريموند يريد ان ينفرد بي .. فلماذا تتيح له هذه الفرصة ، هل تنصب له شركاً ؟

* * *

وفي نحو الساعة الثالثة والنصف بعد الظهر عادت ساره إلى حديقة الاستراحة حيث رأت بقية زملائها جالسين : الليدي وستولم تتحدث مع الدكتور جيرار ، ومس آمبل بين تقرأ في كتاب ، وتطلع الجميع إلى الجرف العالي حيث كانت مسز بونتون جالسة أمام مدخل كهفها ساكنة الحركة وكأنها تمثال بوذا ، ولم يكن هناك على مرمى البصر أحد من موظفي السياحة غيرها . إذ كان الجميع في خيامهم .

وعلى مسافة أخرى ، كان ثمة جماعة يسيرون مبتعدين ، وقد أشار اليهم جيرار ، وقال :

– المرة الأولى تسمح الأم العطوف لأبنائها وبناتها ان يتمتعوا بالحرية بعيداً عنها .. لا شك انه فطور جديد في تصرفها .

فقالت سارة :

– أتعلم ان هذا هو نفس ما كنت أفكر فيه .

– يا لنا من أناس مرتابين ؛ هل ننضم اليهم ؟

وسرعان ما لحقا بأفراد عائلة بونتون ، وكانت السعادة لأول مرة ، تملأ صفحات وجوههم .

كان لينوكس ونادين وكارول وريموند والمستر كوب يضحكون ويتحدثون في مرح لم يلبث ان شاركهم فيه جيرار وساره عند انضمامها اليهم .

كان كل منهم يحاول ان يستمتع بقدر الإمكان بهذه اللحظات السعيدة النادرة وقد مشت ساره مع لينوكس وكارول في المقدمة ، فراح ريموند يتحدث مع الدكتور جيرار خلفهما وفي النهاية مشت نادين مع المستر كوب يتبادلان الأحاديث .

وبغتة سمعت ساره الدكتور جيرار ، يقول بصوت خافت متوجع وهو يتوقف :

– معذرة ، يجب ان أعود المعسكر

فرنت اليه ساره قائلة :

-- هل ألم بك شيء يا دكتور جيرار ؟

— نعم .. الحمى . لقـــد كنت أشعر بها تسري في دمي ، منذ ساعة الغداء .

وفحصته ساره بنظراتها وقالت :

- ملاريا ؟

— نعم ، ساعود لخيمتي لأحقن نفسي بعقار الكينين. أرجو ان تكون هذه النوبة عنيفة فقد أصبت بها أثناء زيارتي للكونغو

— هل آتي معك ؟

— لا لا .. إن معي حقيبة أدواتي وعقاقيري ، اني لا اريد حرمانك من متعة هذه الرياضة الآن .

وعاد مسرعاً في الطريق المعسكر .

ونظرت ساره اليه برهة ، ثم التقت عيناها بعيني ريموند ، فابتسمت له . وما لبثت أن نسيت كل شيء عن جيرار .

فاستمر الجميع معاً برهة قصيرة لينوكس ونادين ، كارول وســـاره ، وريموند والمستر كوب . لكن ساره على نحو ما ، استطاعت ان تنفصل مع ريموند عنهم جميعاً فمشت معه حتى وصلا الى أقرب بقعة ظليلة حيث جلسا يستريحان .

وقال ريموند بعد برهة صمت :

— أتتصورين اني لا أعرف اسمـــك حتى الآن ؟ أعني اسمك الذاتي ، يا مس كنج .

— ساره ، ساره كنج.

— هل يمكن مناداتك بساره فقط ؟

— طبعاً ، طبعاً .

- ساره .. هل يمكن ان تحدثيني عن نفسك ؟

فاعتمدت بظهرها الى صخره ، ثم باشرت بالحديث عن حياتها في يوركشير وعن كلابها وعن هواياتها وعن عمتها التي قامت على تربيتها .

وبعد ذلك راح ريموند يحدثها ، بكلمات متقطعة ، عن حياته البائسة مع زوجة أبيه .

فأعقب هذا صمت طويل تماسكت خلاله أيديهما ، وجلسا وكأنهما طفلان صغيران ، هانئان بصحبة أحدهما الآخر ..

ولما بدأت الشمس تنحدر نحو المغيب ، تحرك الشاب وقال :

- لسوف أعود الآن .. لا .. ليس معك ؛ سوف أعود بمفردي ان لدي عملا يجب ان اقوم به . فإذا قمت به ، فسأثبت لنفسي اني لست جباناً ؛ وفي هذه الحالة لن أخجل من التقدم اليك لطلب يدك والتماس مساعدتك ؛ لأني سأكون في حاجة الى المساعدة .. وربما احتاج الى اقتراض بعض المال .

فابتسمت ساره قائلة :

- يسعدني انك واقعي في تفكيرك ويمكنك ان تعتمد علي .

- لكن يجب أولاً القيام بهذا العمل بمفردي .

- أي عمل ؟

فارتسمت علامات الحزم على وجه الشاب وهو يقول :

- اثبات شجاعتي .. فإما أن أفعل هذا الآن .. أو أبقى عبداً للأبد .

ثم وثب واقفاً فاستدار ومضى مسرعاً نحو المعسكر .

وتراجعت ساره الى الصخره وراحت ترقبه وهو يبتعد بخطى تنم عن العزيمة والإصرار .

وشعرت بالجزع وهي تتذكر كلماته . فقد شعرت ان فيهما تصميم

الانسان الذي ينوي أن يقوم بعمل طائش أو متهور وتمنت لو أنهــا ذهبت معه .

ولكنها قررت البقاء ان ريموند شاء أن يقوم بعمله بمفرده ليختبر مدى شجاعته .

وتمنت بكل جوارحها ألا تخذله شجاعته في اللحظة الأخيرة .

كانت الشمس في أفق المغيب حين أشرفت ساره على المعسكر عنـد عودتها . وفي ضوء الغروب الخافت رأت مسز بونتون لا تزال جالسة في مقعدها أمام كهفها فارتجفت ساره قليلا وهي ترى ذلك الجسم البدين الرابض كتمثال رهيب يرمز للشر والقسوة .

فأسرعت تمشي في الممر السفلي ووصلت الى حديقة الاستراحة حيث رأت الليدي وستولم تعمل في أشغـــال الابرة والمس آميل بيرس مشغولة بقطعة تطريز وعمال المكتب السياحي يروحون ويجيئون لاعداد طعام العشاء .. أما آل بونتون فكانوا جالسين في الطرف الآخر من الحديقة يقرأون .

ودخلت ساره خيمتها فاغتسلت . وعند عودتها وقفت أمام خيمة الدكتور جيرار ونادت عليها بصوت خافت فلما لم تسمع اجابة رفعت حافة الخيمـة ودخلت فرأته نائماً بلا حراك فانسحبت مسرعة وهي ترجو ان يكون مستغرقاً في النوم .

فأقبل نحوها احد العمال العرب وقال ان العشاء معد . ولما وصلت الى الطاولة كان الجميع حولها فيما عدا الدكتور جيرار ومسز بونتون وكان احد العمال قد أرسل للعجوز ليخبرها بأن العشاء معد .

وبغتة حدثت ضجة فأسرع خلالها اثنان من العرب الى الدليل محمود فاضطرب هذا بشده وأسرع في طريقه الى مسز بونتون .. فرأت ساره ان تلحق به .. وتسأله :

— ماذا حدث ؟

— يقول عبده ان السيدة لا تتحرك .

— سآتي معك لأرى ماذا حدث ؟

فأسرعت ساره الى مسز بونتون وامسكت يدها ثم انحنت عليها ثم اعتدلت وقد شحب وجهها .

ولما عادت الى الجالسين حول الطاولة قالت بصوت مرتجف موجهة الكلام الى لينوكس :

— يؤسفني ان اقول لك .. ان امكم ماتت ..

وتلقى افراد الأسرة النبأ في ذهول من لا يصدق اذنيه .. وبغتة اخذوا يتنهدون وكأنهم لم يتلقوا نعياً بل بشرى .

- ١٠ -

رفع الكولونيل كاربري حكدار مدينة عمان كأسه وقال لضيفه الجالس امامه عبر الطاولة .

ـ في صحة الجريمة .

فابتسم بوارو وقال وهو يرفع كأسه :

ـ وفي صحة الذين يكافحونها .

وبعد ان حدث كاربري بوارو عما حدث للمسز بوتتون في بترا ، وعن نقل جثتها إلى عمان ، وعن احتمال كون الوفاة ناشئة عن مشقة الرحلة وحرارة الجو مع إصابتها بمرض القلب :

ثم تابع يقول :

ـ لكني أشك بأفراد أسرتها . فقد علمت من مختلف المصادر انها كانت تعاملهم بقسرة .. أعني كانت تسيطر عليهم سيطرة السجان على المسجونين . ولهذا فإن هناك احتمالاً كبيراً في أن أحد هؤلاء الأفراد أو جميعهم اشتركوا في القضاء عليها .

فقال بوارو بهدوء :

ـ ألم يكن في بترا عندئذ أحد الأطباء ؟

ـ كان هناك إثنان .. طبيب أمراض عصبيـــة مشهور هو الدكتور

جيرار وطبيبة حديثة التخرج هي مس كنج، لكن الدكتور جيرار كان مريضاً بنوبة ملاريا عند وفاة مسز بونتون .

— تقول ان الضحية كانت مريضة .

— نعم بالقلب .. وكانت تتناول نقط القلب بانتظام .

— إذن ما الذي جعلك تشك في أن موتها ليس طبيعياً ؟

— إنه الدكتور جيرار .. ويحسن ان أستدعيه ، لتسمع أقواله بنفسك .

وبعد ان أرسل الكولونيل أحد جنوده لاستدعاء الدكتور جيرار قال له هير كيول بوارو :

— كم عدد أفراد هذه الأسرة

— إنها أسرة بونتون ، الأم المتوفاة ، وابنان أحدهما متزوج وزوجته وهي شابة لطيفة جميلة ، وابنتان . الصغرى منهما متوترة الأعصاب جداً ، ربما من الصدمة .

ورفع بوارو حاجبيه وقال :

— بونتون .. بونتون ؟ هذا عجيب ، عجيب جداً .

ودخل الدكتور جيرار .

فقدمه الكولونيل كاربري الى بوارو قائلاً :

— هذا هو المسيو هير كيول بوارو .. جاء إلى عمان لمهمة خاصة وكنت أتحدث معه عن حادثة مدينة بترا

وبعد ان تناولوا الأحاديث عن موضوع الحادثة وارتياب الكولونيل كاربري في انها غير طبيعية .

فقال الدكتور جيرار :

— أحب ان تخبر المسيو بوارو بما أخبرتني به يا دكتور جيرار في هذا الشأن .

ـ إن الخطأ في جانبي .. وقد أكون واهماً في استنتاجي .. لكني مضطر لأن أذكر ما لاحظت .

كنت أعاني من نوبة ملاريا في ذلك الوقت ، فلما عدت إلى خيمتي بحثت عن الحقن طويلاً فلم أجده ، وأخيراً اضطررت إلى تناول كمية من حبوب الكينين .

وبعد برهة صمت تابع الدكتور جيرار يقول :

ـ لقد اكتشفت موت مسز بوينتون بعد غروب الشمس بقليل ، وقد رجع هذا لطريقتها في الجلوس ، فقد ماتت وهي جالسة ، فلم يكتشف أحد موتها إلا حين ذهب أحد العمال ليخبرها بأن طعام العشاء معد وكان ذلك الساعة السادسة والنصف .

وبعد ان وصف موضع الكهف وحديقة الاستراحة تابع يقول :

ـ وقد فحصت مس كنج ، الطبيبة المؤهلة الجثة وتأكدت من الوفاة ، ولكنها لم تشأ ان توقظني من النوم لعلمها بحالتي ولم يكن هناك ما يمكن فعله بعد التأكد من موت مسز بوينتون .

فقال بوارو :

ـ كم من الوقت كان قد مضى على وفاتها عند اكتشاف الأمر ؟

ـ ان مس كنج لم تهتم كثيراً بتحديد الوقت باعتبار انه امر ليس له أهمية خاصة .

ـ اذن متى كانت مسز بوينتون حية آخر مرة ؟

فنظر الكولونيل كاربري في ملف أمامه ، ثم قال مجيباً عن هـذا السؤال :

ـ لقد تحدثت الليدي وستولم ومس آمبل بيرس مع مسز بوينتون في نحو الساعة الرابعة والنصف ، وبعد نحو خمس دقائق ، تحدثت معها مسز لينوكس حديثاً طويلاً .

وتبادلت كارول حديثاً عابراً مع زوجة أبيها ، في وقت لم تستطع ان تحدده ، ولكنه كان ، بأقوال الشهود ، يقترب من الخامسة وعشر دقائق

وتابع الكولونيل كاربري قراءته من الملف قائلاً :

— وفي حين عاد مستر جيفرسون كوب ، صديق العائلة ، مع الليدي وستولم ومس بيرس الى المعسكر بعد جولتها ، رأى مسز بونتون من بعيد نائمة ، فلم يشأ ان يزعجها . وكان ذلك في نحو الساعة السادسة الا ثلثاً . ويلوح ان الشاب ريموند الابن الأصغر كان آخر من تحدث الى مسز بونتون وهي حية ، اذ تحدث معها بعد عودته من جولته المسائية ، وكان ذلك في نحو السادسة الا عشر دقائق ، وقد اكتشفت الوفاة في السادسة والنصف حين ذهب احد عمال المكتب السياحي ليخبرها بأن العشاء معد .

فسأله بوارو قائلاً :

— ألم يقترب منها احد اطلاقاً ، بعد انصراف ريموند عنها حتى لحظة اكتشاف وفاتها !

— لا .

— معنى هذا ، ان ريموند كان آخر شخص تحدث اليها ، وهي على قيد الحياة .

وتبادل الكولونيل النظرات مع الدكتور جيرار ثم قال له :

- استمر في حديثك يا دكتور جيرار .

— ان مس كنج لم تجد أهمية لتحديد وقت الوفاة ، وانما اكتفت بقولها انها توفيت منذ « مدة وجيزة » ولكن عندما حاولت انا ، عرضاً ، ان احدد وقت وفاتها علمياً وقلت في حديثي ان ريموند كان آخر من حدثها وهي حية ، وكان ذلك في السادسة الا عشر دقائق ، قالت مس كنج بحماس ان هذا لا يمكن ، لأن مسز بونتون كانت ميتة قطعاً قبل السادسة

الا عشر دقائق .

فرفع بوارو حاجبيه وقال :

ـ عجيب .. هذا عجيب جداً . وماذا قال ريموند ، في هذا الشأن ؟

فرد الكولونيل كاربري :

ـ انه أقسم بأن زوجة أبيه كانت على قيد الحياة حين تحدث اليها . قال انه ذهب اليها واخبرها انه عاد من جولته ، او شيء من هذا القبيل ، وانها تمتمت بكلمات قليلة مثل « حسناً . حسناً » ثم عاد الى خيمته .

فقطب بوارو جبينه وقال :

ـ عجيب . عجيب جداً .. وهل كان الجو مظلماً بعض الشيء عندئذ ؟؟

ـ كانت الشمس قد غربت في تلك اللحظات

ـ عجيب جداً ، وانت يا دكتور جيرار ، متى شاهدت الجثة ؟

ـ في صباح اليوم التالي ، في التاسعة تماماً .

ـ وماذا كان تقديرك عن ساعة الوفاة ؟

فهز الدكتور جيرار كتفيه وقال :

ـ من العسير ان احدد هذه الساعة بعد مرور اكثر من اثني عشر ساعة على الوفاة . واذا طلبت للشهادة فيمكنني القول ان الوفاة حدثت قبل التاسعة صباحاً فيما لا يقل عن اثني عشر ساعة ، وفيما لا يزيد على ثماني عشر ساعة ، وهذا كما ترى لا يساعد في شيء .

وقال الكولونيل كاربري :

ـ حسناً يا دكتور جيرار .. اذكر للمسيو بوارو ، ما تعرف بعد ذلك .

ـ حين استيقظت في صباح اليوم التالي وجدت الحقن على طاولة الزينة ، خلف مجموعة من الزجاجات المختلفة .

ثم انحنى الأمام وتابع يقول :

ـ ربما يقول أحدكما انني غفلت في البحث عن الحقن في هذا المكان ، ولكنني أؤكد لكما ان الحقن لم يكن موجوداً في ذلك الموضع حين بحثت عنه في المساء السابق .. أنا واثق من هذا رغم حالة الحمى ، التي كنت أعانيها .

فقال الكولونيل كاربري :

ـ وهناك شيء آخر يا دكتور .

ـ نعم ، هناك حقيقتان لها أهميتها . فقد لاحظت وجود علامة على معصم يد مسز بوئتون ، تشبه العلامة التي تحدثها وخزة إبرة الحقن .. وقد فسرت إبنتها كارول وجود هذه العلامة قائلة انها حدثت من وخزة دبوس .

ـ حسناً ، والحقيقة الثانية !

ـ عندما فحصت محتويات حقيبة الأدوية والعقاقير ، وجدت ان كمية كبيرة من عقار الديجيتوكسين ناقصة من القنينة .

ـ الديجيتوكسين ؟ إنه سم للقلب . اليس كذلك !

ـ نعم ، إنه أحد مستحضرات عقار الديجيتالا .. وهناك أربعة مستحضرات من هذا العقار . الديجيتالين ، والديجيتونين ، والديجيتالين ، والديجيتوكسين

وهذا المستحضر الأخير هو أشدها ضراوة على القلب . وطبقاً لبحوث الدكتور كوبس فإنه أشد تأثيراً على القلب بنسبة ستة إلى ثمانية أمثال المستحضرات الأخرى .

ـ وما هو تأثير جرعة كبيرة منه ؟

– إن جرعة كبيرة من الديجيتوكسين إذا حقنت في الدم ، فإنها تؤدي إلى الموت الفجائي بالسكتة القلبية ، والمعروف ان أربعة ملليجرامات منه كفيلة لقتل الانسان البالغ .

وقال بوارو :

– وكانت مسز بونتون تعاني قبل موتها من مرض القلب .

فرد الطبيب :

– نعم .. وكانت تتناول دواء ، يحتوي على نسبة قليلة من الديجيتالين .

– هل تعني أن موتها حدث ، بسبب جرعة كبيرة ، من هذا العقار ؟

– بل إني أعني أكثر من هذا

وقال الدكتور جيرار :

– إن الديجيتالين إذا أحدث الموت لا يترك أثراً يدل عليه عند تشريح الجثة ما دام المريض قد اعتاد ان يعالج به .

فأومأ بوارو برأسه وقال :

– نعم ، هذه براعة ، براعة كاملة ، ولن يستطيع أحد عند المحاكمة أن يثبت أن في الأمر جريمة ..

وهذا يعني أن المجرم ، إذا كانت هناك جريمة حقاً ، له عقلية بارعة ، عقلية حادة الذكاء ، عقلية جعلت صاحبها يعرف كيف يضع خطة محكمة ثم ينفذها بدقة بالغة .

ثم صمت برهة وقال :

– لكن شيئاً واحداً يحيرني

– ما هو ؟

– سرقة الحقن .

فقال الطبيب :

- إنه أخذ من مكانه .

- أخذ وأعيد .

- نعم .

- إن هذا ما يحيرني .

فنظر اليه الكولونيل كاربري في دهشة وقال :

- هه ! ما رأيك ؟ هل في الأمر جريمة ؟

- إننا ، لم نصل بعد ، إلى مرحلة الإجابة عن هـــذا السؤال .. لأن لدي أنا ، هيركيول بوارو ، دليلاً يجب أن أذكره بشأن هـذا الحادث ..

- لديك أنت ؟

فابتسم في وجهيهما المدهوشين وقال :

- نعم ، لدي أنا .. ففي ذات ليلة ، وأنا في فندق الملك سليمان ، كنت على وشك إغلاق نافذة غرفتي عندما سمعت شخصاً ما يقول هذه الكلمات بصوت عصبي :

« ولهذا كله يجب ان تقتل » .

ولم أهتم بما سمعت ، على أســاس انها كلمات يقرأها أحــد في رواية أو في مسرحية .. أما الآن فإني واثق بأن الأمر كان أكثر جدية ممـا حسبت ..

وصمت برهة قبل ان يقول :

- وقد تبينت بعد ذلك ، ان قائل هذه الكلمات ، شاب رأيتـه أمام مصعد الفندق ، في البهو .. وهذا الشاب ، حين سألت عنه ، يدعى ريموند بوينتون .

فهتف الدكتور جيرار قائلاً

— ريموند بونتون !

— نعم ..

وبعد برهة صمت قال الكولونيل كاربري

— والآن ، ماذا يمكننا ان نفعل ؟

فهز جيرار كتفيه وقال :

— لا شيء .. إن من العسير إثبات التهمة على ريموند حتى لو كان هو القاتل ..

قال بوارو :

— هل يعني هذا ان نترك الأمر عند هذا الحد ؟

فرد الطبيب ببطء :

— لقد كانت الميتة عجوز شريرة . وكان من المرجح ان تموت بداء القلب في خلال شهر أو شهرين على الأكثر ..

وإن موت هذه العجوز ، قد حرر من ربقة الأسر أشخاصاً صالحين للعيش في المجتمع .

فقال بوارو :

— يعني انك راض عن هذا الوضع ؟

وبغتة ضرب الطبيب الطاولة بيده وقال :

— لا ، إني كطبيب لا يمكن أن أرضى عن وضع كهذا مهما كانت نتائجه الطيبة . إننا معشر الأطباء نعيش للمحافظة على حياة الآخرين بصرف النظر عن سلوكهم وأخلاقهم .

إني عاطفياً قد أقبل هذا الوضع ، أما عقلياً فإني لا أرضى إطلاقاً أن يموت إنسان قبل أجله المحدد .

فابتسم بوارو بصمت ، وقال كاربري :

— إني مثلك لا أحب جرائم القتل ، مهما كانت مبرراتها .. والآن ، ما

رأيك يا مسيو بوارو في هذه الحالة ؟

فقال بوارو :

– إنك يا كولونيل كاربري تريد أن تعرف من قتل مسز بوئتون إن كانت قد قتلت حقاً . وتريد ان تعرف كيف ومتى وقعت الجريمة ، اليس كذلك ؟

– نعم ، طبعاً .

– هذا من حقك بطبيعة الحال .

– وهل في مقدورك ان تكتشف غموض هذه الجريمة يا مسيو بوارو ؟

فقال بوارو بلا تردد :

– نعم ، بكل تأكيد . لكن علينا ان نقرر ، هل اشترك أفراد الأسرة جميعاً في هذه الجريمة أم ان الذي ارتكبها فرد واحد .

فقال الطبيب :

– إن ما سمعته أنت من ريموند يحصر الجريمة في نطاقه هو . .

– نعم . . لا سيما وانه كان آخر من تحدث إلى زوجة أبيه ، قبل موتها . .

– لكن المس كنج ترفض هذا الدليل .

فتبسم بوارو وقال :

– أخبرني يا دكتور جيرار ، هل هناك . صلة عاطفية معينة بين ريموند ومس كنج ؟

– نعم .

– وهل المس كنج ، هي الشابة ذات الشعر الكستنائي ، والعينين العسليتين الواسعتين والشخصية القوية المرتسمة على وجهها .

– نعم ، إنها هي .

– لقد رأيت ريموند عند المصعد ، في فندق الملك سليمان ، يحملق

فيها مبهوتاً ، وكأنه يرى ملاكاً هابطاً عليه من السماء . ولكن أخبرني ، يا دكتور جيرار هل تظن ريموند من الطراز الذي يمكن أن يرتكب ببساطة جريمة كهذه .

فقال جيرار ببطء :

– نعم ، في حالة اضطراب وتوتر عصبي شديد

– وهل هذه الحالة قائمة ؟

– نعم .. إن هذه الرحلة جعلت أفراد الأسرة يشعرون بالفارق الكبير بين حياتهم السجينة في القصر ، وبين الحياة الرحيبة في العالم الواسع . ولا شك ان حب ريموند لساره قد ضاعف من شعوره بوجوب التخلص من المرأة التي تسجنهم .

وقال كاربري كأنما تذكر شيئاً .

– وبهذه المناسبة يا مسيو بوارو ، ان الكلمات التي سمعتها من ريموند كان يقولها لشخص ما .. اليس كذلك ؟

– نعم ، نعم ، طبعاً . ولا شك انه كان يتحدث إلى أحد أفراد الأسرة . لكن من هو هذا الفرد ؟ او من هي ؟ هل يمكن يا دكتور جيرار ان تذكر لي حالة أحد افراد الأسرة تشبه الحالة التي كان عليها ريموند ؟

– نعم .. انها أخته كارول ، أما لينوكس فكان قد بلغ حالة من اليأس والرضوخ للأمر الواقع ، بحيث لم يكن يهمه أن يتمرد عليه .

– وزوجته ؟.

– انها رغم شعورها بالحزن واليأس والشقاء ، إلا انها لم تكن تعاني من الصراع العقلي .. والواقع انها كانت تفكر جدياً في الانفصال عن لينوكس .

ثم ذكر له الحديث الذي جرى بينه وبين جيفرسون كوب ، فأومأ بوارو برأسه وسأل :

- وماذا عن الأبنة الصغرى ؟

- أعتقد انها في حالة خطيرة من الناحية العقلية . فقد بدت عليها أعراض الانفصام العقلي وأصبحت تظن انها شخصية خيالية . إن الكبت الذي تعانيه جعلها تهرب من الواقع الى الخيال ، لقد أخبرتني انها من أسرة مالكة وان الأعداء يحيطون بها ليقتلوها .

- وهذا يجعلها خطراً على الغير ؟

- نعم ، إن المريض بهذا المرض يلجأ أحياناً إلى القتل ، انه يقتل دفاعاً عن نفسه ، يقتل حتى لا يدع أحداً يقتله .

- إذن فرأيك ان جنيفرا قد تكون مرتكبة الجريمة ؟

- نعم ولكني أظن انها غير قادرة على تدبير أية جريمة بمثل هـذا الإحكام . إن المريض بالانفصام العقلي يقتل بوسيلة بسيطة وبلا تدبير محكم .

- لكن هناك احتمالاً في أنها قد تكون القاتلة .

- نعم .

- هل تظن ان أفراد الأسرة يعرفون من هو القاتل ؟

فقال كاربري :

- إني لا أشك في هذا . إن كل شيء في تصرفاتهم يدل على انهم يعلمون شيئاً مشتركاً .

فقال بوارو :

- سوف نجعلهم يخبروننا بكل ما يعرفون .

فرد كاربري قائلاً :

- ولكن عليك ان تنتهي من هذا الأمر بسرعة ، لأننا لا نستطيع أن

تحتجزهم هنا وقتاً طويلاً ٠

فقال بوارو بهدوء :

ـ ستظهر الحقائق كلها غداً مساء ٠

فحملق كاربري في وجهه وقال :

ـ انك واثق بنفسك جداً أليس كذلك ؟

ـ لأني هيركيول بوارو يا صديقي ٠

فتبسم كاربري وقال :

ـ إذا نجحت في هذا ، فسوف أعترف بأنك معجزة في البحوث الجنائية ٠

القت ساره كنج نظرات فاحصة على هيركيول بوارو .

بينما قال هو :

ــ إننا نريد ان نعرف الحقيقة عن هذا الموضوع ؟

ــ تعني موضوع موت مسز بوينتون ؟

ــ نعم .

ــ ألا ترى انها زوبعة في فنجان ؟ أم لعل تفكيرك الدائم في الجريمة والمجرمين جعلك ترتاب في ..

فقاطعها بوارو قائلا :

ــ من البديهي أن ارتاب في وقوع جريمة كلما كان هناك ما يبرر هذا الارتياب .

ــ وهل هناك ما يبرر ارتيابك في هذا الموضوع ؟

ــ وهل تعتقدين ان الوفاة طبيعية يا مس كنج ؟

فصمتت لحظة ثم قالت :

ــ لو انك ذهبت إلى بترا يا مسيو بوارو ، لأدركت مدى المشقة التي يعانيها المسافر اليها . ولا شك ان هذه المشقة يتضاعف تأثيرها على عجوز مريضة بالقلب .

— هل يعني هذا ان الأمر طبيعي من وجهة نظرك كطبيبة ؟

— نعم .. وأنا لا أدري سر موقف الدكتور جيرار من الأمر . فقد كان راقداً بالملاريا حين ماتت مسز بوينتون . وانا أعترف انه اكثر خبرة ودراية بالطب مني لكن ليس هناك الأساس الذي يستطيع به ان يثبت خطئي في تحديد وقت الوفاة . وان في القدس أطباء شرعيين يمكنهم التأكد من صحة قراري إن عرضتم الأمر عليهم .

وصمت بوارو برهة قبل ان يقول :

— إذن فأنت لا تعرفين بعض الحقائق المعينة ، ان الدكتور جيرار لم يخبرك ..

— أية حقائق تعني ؟

— لقد سرقت كمية من عقار الديجيتوكسين من حقيبة أدوية الدكتور جيرار ..

فأسرعت سارة وقد أدركت معنى هذا التطور الجديد في الموضوع .

— أوه ! هل الدكتور جيرار واثق من هذا ؟

— إن الأطباء كما تعلمين لا يلقون بأقوالهم جزافاً .

— نعم ، نعم . لكن هل لديك أية فكرة عن الشخص الذي أخذ هذا العقار أو عن الوقت الذي أخذ فيه ؟

— إنه حتماً لا يعرف من الذي أخذ العقار . لكنه واثق تماماً بأن جميع علب وزجاجات الأدوية كانت تامة عندما فتح الحقيبة ليلة وصوله إلى بترا ليأخذ بعض الأسبرين .

وصمت بوارو برهة قبل ان يردف قائلاً :

— ما رأيك في هذا الدليل؟

— إنه برأيي دليل ضعيف .

— كأنك تنصحيني بعدم القيام بأية تحركات أخرى بهذا الشأن .

ـ أظن ان أفراد آل بوينتون تعذبوا في حيـــاة الأم كثيراً ، وليس من الانسانية أن تزيد عذابهم بكل هذه الشكوك والتدابير .

فتبسم بوارو قائلا :

ـ أها . كأنك ترين ان مـوت هذه الطاغية القاسية خـير من استمرار بقائها حية .

فاضطرم وجه سارة وقالت :

ـ إني لا أستطيع الاجابة عن سؤال شاذ كهذا .

ـ أيا كان أمر الضحية ، يا مس كنج .. سواء أكانت ملاكا أم شيطانا، فإني لا أوافق على أن تقتل بيـد فرد أو أفراد ليست لهم سلطة المحاكمة القانونية .

ـ تقل ؟ ما هي الأدلة على هذا ؟ إن الدكتور جيرار قد يكون مخطئا في تقديره عن العقار ، لا سيا وقد كان يعاني من حمى الملاريا .

ـ لكن هناك دليلا أقوى يا مس كنج .

ـ أي دليل هذا ؟

ـ علامة وخزة حقن على معصم مسز بوينتون، وكلمة سمعتها في ليلة وصولي إلى فندق الملك سليمان بالقدس، سمعتها وأنا أغلق نافذة غرفتي، وكانت الكلمات واضحة تماماً . هل تحبين سماعها يا مس كنج : حسناً ، إنها « لهذا كله يجب ان تقتل » وكان قائلها ريموند بوينتون .

فرأى وجه سارة يمتقع بشدة وهي تقول :

ـ هل سمعت هذا ؟

ـ نعم .

ـ عجبا ! ألا تراها مصادفة نادرة ؟

ـ إن الحياة مجموعة مصادفات يا مس كنج ؟

ـ نعم ، نعم .

– هل تساعديني ؟

– بكل تأكيد .

– شكراً يا مس كنج . والآن، أريد ان أسمع منك شخصياً كل ما حدث في ذلك اليوم الذي ماتت فيه مسز بونتون .

وفكرت ساره برهة ثم قالت :

– ذهبنا في جولة صباحاً ولم يكن معنا أحد من آل بونتون . ولكنني رأيتهم في ساعة الغداء بحديقة الاستراحة ، وكانت مسز بونتون في حالة معنوية طيبة على غير العادة .

– معنى هذا انها لم تكن كذلك في معظم الأحوال .

– بالعكس .. كانت دائماً متجهمة الوجه ضيقة الصدر .

ثم راحت تصف معاملة مسز بونتون لأفراد أسرتها .. وقد علق بوارو على هذا بقوله :

– وكان هذا التصرف برأيك غير طبيعي .

– نعم ، إنها كانت تسجنهم حولها دائماً .

– هل تظنين إذن أن حالتها المعنوية الطيبة في ذلك الوقت هي التي دفعها لاطلاق سراحهم بضع ساعات ؟

– لا .

– إذن ما استنتاجك ؟

– إنها كانت تلهو بهم لهو القط بالجرذان .

– ماذا تقصدين يا مس كنج ؟

– إن القطة تستمتع برؤية الجرذ حين يحاول الهرب منها ، وهي لهذا تطلقه قليلاً لتوهمه بأنه حر ، ثم تنقض عليه . وفي رأيي ان مسز بونتون لها نفس هذه العقلية ، ولهذا كنت واثقة من أنها أرادت تحقيق هدفاً معيناً حين سمحت لهم بالتجول بعيداً عنها .

- وماذا حدث بعد ذلك ؟

- لقد بدأ أفراد الأسرة تجوالهم .

- جميعاً ؟

- لا ، فقد تخلفت الابنة الصغرى جنيفرا لأن أمها أمرتها بأن تأوي إلى فراشها لأنها متعبة .

- وهل كانت ترغب في أن تأوي إلى فراشها ؟

- لا ، لكن هذا لا يهم فما دامت الأم قد أمرت بذلك ، فلا بد ان تطيع الابنة ، وسار الباقون في الطريق إلى النزهة . وقد لحقنا بهم الدكتور جيرار وأنا .

- متى كان هذا ؟

- في نحو الثالثة والنصف بعد الظهر .

- وأين كانت مسز بوئتون عندئذ ؟

- كانت نادين زوجة لينوكس ، قد عاونتها على الجلوس في مقعدها أمام الكهف .

- إستمري في الحديث .

- بعد ان انعطفنا في الممر وسرنا مسافة قصيرة ، شعر الدكتور جيرار باشتداد أعراض الحمى ، فقرر العودة . وكانت أعراض الحمى واضحة عليه مما دفعني لاقترح العودة معه لاساعده لكنه رفض

- ومتى كان هذا ؟

- في نحو الرابعة .

- والباقون ؟

- إستأنفوا التجوال وكنا كلنا معاً ، ثم انقسمنا .. فمشت نادين مع مستر كوب ، وبقيت كارول مع لينوكس ، ومضيت أنا مع ريموند ..

- وأين ذهبت مع ريموند ؟

– جلسنا في ظل شجرة وأخذنا نتأمل كل المناظر الطبيعية التاريخية وبعدها انصرف ريموند وبقيت أنا برهة . وكانت الساعة الخامسة والنصف حين رأيت ان الوقت قد حان لرجوعي إلى المعسكر . وقد وصلت اليه في السادسة عند غروب الشمس .

– هل مررت بمسز بوينتون في طريق عودتك ؟

– لاحظت انها لا تزال جالسة في كرسيها أمام باب الكهف .

– ألم تلاحظي شيئاً غريباً عليها ؟

– لا .. لأني رأيتها جالسة على هـذا النحو في ليـلة وصولنا إلى بسترا .

– حسناً .. وبعد ذلك ؟

– ذهبت إلى حديقة الاستراحة ، وكان الجميع بها فيما عدا الدكتور جيرار فدخلت خيمتي حيث اغتسلت .

ولما عدت اليهم كان العشاء قد أعد وذهب أحد العمال ليخبر مسز بوينتون لكنه عاد مسرعاً قائلاً انها مريضة جداً ، ولكنني حين أسرعت اليها وفحصتها وجدتها ميتة تماماً .

– ولم يخامرك اي شك في انها ماتت ميتة طبيعية ؟

– اجل ، لأني علمت انها كانت تشكو من مرض القلب .

– هل ظننت ببساطة انها ماتت بالسكتة القلبية وهي جالسة ؟

– اجل .

– هل تمكنت من تحديد كم مضى عليها وهي ميتة ؟

– لم أفكر في هذا عندئذ ، وكل ما عرفته انها كانت ميتـة منذ مدة تزيد على ساعة ، وربما أكثر ، لأن انعكاس الحرارة على الصخور يجعل الجثة تبطىء في البرودة .

– عجباً يا مس كنج ! ألا تعرفين ان ريموند قال انه حدثها قبل اكتشاف

موتها بنصف ساعة ؟

فهزت رأسها وأشاحت بعينيها عن عينيه وقالت :

ـ لا شك انه أخطأ في تحديد الوقت .

ـ لا يا مس كنج .. إنـه لا يمكن ان يخطىء في أكثر من نصف ساعة .

فزمت ساره شفتيها برهة ثم قالت :

ـ رغم اني حديثة التخرج في كليـة الطب ، إلا ان دراستي تجعلني واثقة من أقوالي ، إن مسز بوبنتون كانت ميتة قبل ساعة على الأقل حين فحصت جثتها .

فقال بوارو بغتة :

ـ كم مرة تحدثت إلى افراد أسرة بوبنتون يا مس كنج ؟

وفكرت ساره برهة ثم قالت :

ـ لا اعرف على وجه التحديد . فقد تحدثت مع ريمونـــد في القطار الذاهب إلى القدس وتحدثت مع كارول مرتين : مرة في مسجـد عمر ، والثانية في ساعة متأخرة بغرفتي ، وتحدثت مع نادين في الصباح التـالي . هذه هي المرات التي تحدثت فيها مع أفراد الأسرة حتى ما بعد ظهر اليـوم الذي ذهبنا فيه جميعاً للنزهة في جبال بترا .

ـ ألم تتحدثي مع مسز بوبنتون إطلاقاً ؟

فلم يسع ساره إلا ان تذكر له حديثها في بهو الفندق مع مسز بوبنتون وقد اختتمته قائلة :

ـ واعتقد اني كنت حمقاء في حديثي هذا ؟

ـ حسناً يا مس كنج وشكراً ، سوف اسمع الآن اقوال الآخرين؟

ونهضت ساره كنج لتنصرف ، ولكنها توقفت بغتة ثم نظرت إلى بوارو في تردد واخيراً قالت :

ـ عذراً يا مسيو بوارو ، هل يمكن ان اقترح شيئا ؟

ـ طبعا ، طبعا ، بكل تأكيد .

ـ لماذا لا تؤجل هذه التحقيقات كلها حتى تظهر نتيجة التشريح وتتأكد من ان شكوكك تقوم على اساس سليم ؟

فقال بوارو بكل جرأة :

ـ هذه هي طريقة هيركيول بوارو في الكشف عن الجرائم الغامضة؟

وكادت ساره تعرب له عن رأيها في غروره ، ولكنها زمت شفتيهما وانصرفت ..

دخلت الليدي وستولم الغرفة ، بثبات عابرة المحيطات ، وكانت مس آمبيل بيرس ترفرف خلفها ، مثل مقطورة لا يمكنها السير بمفردها .

فقالت الليدي وستولم بصوتها المرتفع :
– يسرني يا مسيو بوارو أن أقدم لكم أية خدمة لتحقيق العدالة إني أضع نفسي دائماً في خدمة المجتمع الانساني
وبعد ان فرغت من حديثها الطويل عن واجب الانســـان نحو المجتمع الانساني .

فقال لها بوارو .
– أرجوك ، أن تذكري لنا ، ماذا فعلت ، أو رأيت ، بعد ظهر يوم الوفاة .
– نعم ، نعم ، بكل تأكيد . لقد قررنا ، أنا والمس بيرس ، أن نستريح قليلاً بعد طعام الغداء في خيمتينا .
– هل كانت مسز بوينتون جالسة أمام كهفها .
– نعم لقد ساعدتها زوجة ابنها على الجلوس أمام الكهف قبل أن تمضي في جولتها .

— هل كان في مقدورك أن تريها بجلاء ؟

— نعم ، إن الجرف الذي تقوم فيه كهوف النوم كان يرتفع قليلاً عن حديقة الاستراحة ويبعد عن خيامنا بنحو مائتي ياردة .

فبسط بوارو أمامه خريطة المعسكر وقال :

— طبقاً لهذه الخريطة أقول ان كهف لينوكس بوئتون وزوجته كان يقع بجوار كهف مسز بوئتون مباشرة .

أما كارول وريموند وجنيفرا ، فقد كانت لهم خيام تقع تحت جرف الكهف مباشرة ، وتواجه حديقة الاستراحة في الناحية المقابلة لخيامكم . أليس كذلك ؟

— نعم ..

— وعلى اليمين قليلاً من خيمة جنيفرا ، كانت تقع خيمة الدكتور جيرار وبعدها خيمة مس كنج .

أما في الجهة المقابلة للحديقة فكانت تقع خيمتك يا ليدي وستولم ، ثم خيمة مس بيرس وبينهما سور حديقة الاستراحة ثم خيمة مستر كوب صديق أسرة بوئتون

فأومأت الليدي وستولم برأسها موافقة .

فقال بوارو :

— حسناً يا سيدتي ، أرجو أن تستمري في الحديث .

— في نحو الرابعة إلا ربعاً ، خرجت إلى خيمة مس آمبل بيرس لأسألها إن كانت تريد أن تتمشى معي قليلاً ، وكانت جالسة أمام باب خيمتها تقرأ . واتفقنا على أن نتمشى قليلاً بعد نصف ساعة ، أي عندما تخف حرارة الشمس بعض الشيء

وعدت إلى خيمتي لأقرأ ، وبعد نصف ساعة صحبت المس بيرس إلى النزهة .

وكان جميع من في المعسكر نائمين كما بدا لي فيما عدا مسز بوئنتون التي كانت جالسة في كرسيها أمام باب الكهف .

وقد اقترحت على المس بيرس أن تمضي وتسألها إن كانت تريد شيئاً قبل أن نغادر المكان .

فغمغم بوارو قائلاً :

ـ نعم إن هذا يدل على مدى إيمانك بالواجب

ـ شكراً ، ولكن تصور ماذا كان جزاؤنا ؟ فقد هتفت عليهما ونحن نمر تحت الجرف أسألها إن كانت تريد شيئاً قبل ان نمضي ، فإذا بها تنظر الينا كأننا حشرات ولا ترد علينا بأكثر من غمغمة .

فقالت مس بيرس بوجه مضطرم :

ـ شيء مخجل ؟

فقالت الليدي وستولم :

ـ اني أعترف اني قلت للمس بيرس عندئذ ان مسز بوئنتون ربما كانت مخمورة ، لأن موقفها منا كان غريباً جداً .

فقال لها بوارو :

ـ هل كان موقفها غريباً ، طيلة ذلك اليوم . في وقت الغداء مثلاً ؟.

فتذكرت الليدي وستولم برهة ثم قالت :

ـ لا ، لا أعتقد . بل كانت تصرفاتها عندئذ طبيعية جداً .

لكن مس بيرس قالت :

ـ لا تنسي انها كانت غليظة في تصرفها مع ذلك العامل العربي

ـ متى ؟

ـ قبل ان نتمشى بمدى غير قصير .

ـ آه ، تذكرت .. فقد كانت ثائرة ووجهت اليه الفاظاً قاسية ولكن

الرجل لم يفهم شيئاً طبعاً . .

على ان الانسان ، عندما يكون مجهداً بسبب السفر ، قد تتوتر أعصابه من أقل شيء .

— من هو ذلك العامل ؟

— أحد عمال مكتب السياحة ، وأعتقد إنها طلبت منه أن يأتيها بشيء معين ، فجاءها بشيء آخر . والواقع انها كانت شديدة القسوة معه حتى لقد تراجع عنها في خوف وانطلق بعيداً ، وقد لوحت وراءه بعصاها وهتفت عليه .

— ماذا قالت له ؟

— لا أعرف ، لأننا كنا بعيدين عنها في ذلك الوقت . اليس كذلك يا مس بيرس .

فردت مس بيرس وقد اضطرم وجهها ثانية :

— نعم ، نعم . ويبدو انها أرسلته ليأتي لها بشيء من خيمة ابنتها جنيفرا ، فلم ينجح ، أو لعلها رأته خارجاً من خيمة جنيفرا دون سبب واضح .

فقال بوارو :

— ما شكل هذا العامل ؟

— إنه رجل طويل يرتدي عقالاً وسترة وبنطلوناً لونها كاكي . . وكان بنطلونه ممزقاً وحزام الساق (القلشين) غير محكم على ساقيه .

— هل يمكنك ان تتعرفي عليه من بين عمال المكتب السياحي ؟

لا أظن ، لأننا لم نر وجهه ، كما ان هؤلاء الناس يشبهون بعضهم البعض .

بعد برهة قال بوارو :

— حسناً . يمكننا أن نتعرف على هذا العامل لنعرف منه لماذا غضبت

مسز بونتون عليه

والآن ، إستمري في الحديث يا ليدي وستولم .

فقالت الليدي وستولم :

بعد أن سرنا قليلاً ، التقينا بالدكتور جيرار يعود مترنحـــاً شاحب الوجه بادي المرض . كان واضحاً عليه انه محموم بالملاريا ، وقد عرضت عليه أن أذهب معه إلى خيمته وأحضر له بعض الكينين لكنه رفض قائلاً أن لديه حاجته من الكينين في الخيمة

واستأنفنا المسير ، حتى وصلنـا إلى صخرة ظليلة ، فجلسنـا تحتها نستريح .

– وهل كنتما ، في تلك البقعـة ، بعيدين عن مرمى البصر ، من المعسكر ؟

– لا ، كنا جالستين في مواجهته

– هل كان في مقدورك أن ترى أحداً من أفراد أسرة بونتون ؟

– نعم .. رأينا الابن الأكبر وزوجته ، وهما في طريق الرجوع إلى المعسكر .

– هل كانا سوية ؟

لا ، فقد مر مستر بونتون أولاً ، وكان يبدو كالمريض بضربة شمس لأنه كان يسير في حالة ذهول .

وماذا عمل حين عاد الى المعسكر ؟

. ذهب فوراً إلى أمه لكنه لم يمكث معها إلا وقت قصير .

– ما هي المدة التي مكثها على وجه التحديد ؟

– دقيقة أو دقيقتين . ثم ذهب الى كهفه وبعد ذلك هبط إلى حديقة الاستراحة .

– وماذا عن زوجته ؟

– إنها شابة لطيفة معقولة .

– هل راقبتها وهي عائدة المعسكر ؟

– نعم ، فقد ذهبت إلى حماتها ، وتحدثت معها قليلاً ، ثم دخلت كهفها واستحضرت كرسيا وجلست بجوار حماتها تتحدث معها مدة ، نحو عشر دقائق .

- وبعد ذلك ؟

– أعادت الكرسي إلى الكهف وهبطت الى حديقة الاستراحة حيث يجلس زوجها .

– وماذا حدث بعد ذلك ؟

– وصل ذلك الأمريكي صديق الأسرة . أظن اسمه «كوب» ، وأخبرنا أنه شاهد مكانا أثريا جميلا ، فذهبنا معه وشاهدنا البقعة الأثرية ثم عدنا إلى المعسكر وكانت الساعة قد بلغت السادسة إلا ثلثا ، وكانت البرودة قد بدأت تشيع في الجو .

– هل كانت مسز بوئتون في مكانها كما تركتموها ؟

- نعم .

– هل تحدث أحد منكم اليها ؟

فقالت الليدي وستولم :

- لا .. وإذا شئت الحقيقة فإني لم أنظر ناحيتها بعد ان لاحظت وجودها من بعيد .

-- وماذا عملت بعد ذلك ؟

– دخلت خيمتي وغيرت ملابسي ، وعدت إلى حديقة الاستراحة حيث شربت الشاي مع مس آمبل بيرس .

وأخبرنا المرشد العربي ان العشاء سيكون حاضراً بعد نصف ساعة ، وكان مساعدوه يحضرون الطاولة .

فقال بوارو :

– هل كان هناك أحد في حديقة الاستراحة ؟

– أوه ، نعم .. مستر ومسز لينوكس بوئتون ، كانا جالسين في طرف من الطاولة ، وكارول كانت هناك أيضا .

– ومستر كوب ؟

– إشترك معنا في شرب الشاي

– وبعد ذلك ؟

– أذكر أن ريموند بوئتون وصل من نزهته ، ثم أقبل على مائدة العشاء ، وأقبلت بعده أخته الصغرى ذات الشعر الذهبي. أما مس كنج فكانت آخر من حضر إلى الطاولة .

ثم أرسل المرشد أحد العمال ليخبر مسز بوئتون ان العشاء حاضر .. لكن العامل عاد مسرعاً في حالة اضطراب ، وسمعنا ان مسز بوئتون أصيبت بمرض ، وعرضت مس كنج خدماتها ، لكنها قالت بعد ان ذهبت إلى المريضة أنها ميتة تماماً .

– وكيف تلقى أفراد الأسرة الخبر ؟

– الواقع ان من العسير أن يحزر المرء حقيقة مشاعرهم .. لقد تلقوا الخبر في هدوء تام وذهبوا كلهم مع مس كنج .. ولكنني بقيت مع مس بيرس حتى لا نبدو متطفلين ..

وأخيراً عاد المرشد مع مس كنج ، واقترحت ان نتناول نحن العشاء على أن يتناوله أفراد الأسرة لاحقاً ، ووافق الباقون على هذا الاقتراح .

وبعد ان فرغنا من الأكل أويت إلى خيمتي ، وكذلك فعلت مس بيرس ومس كنج أما مستر كوب فقد جلس في حديقة الاستراحة ليكون تحت أمر الأسرة إذا احتاجوا اليه .

هذا كل ما أعرف يا مسيو بوارو

فسألها بوارو قائلاً :

– عندما القت مس كنج بالنبأ ، إلى أفراد الأسرة ، هل ذهبوا معها كلهم ؟

– نعم .. لا .. أذكر الآن ان الابنة الصغرى ذات الشعر الذهبي بقيت في حديقة الاستراحة ، اليس كذلك يا مس بيرس ؟

– نعم ، تماماً .

– وماذا عملت الابنة الصغرى يا ليدي وستولم ؟

– ماذا عملت ؟ إنها لم تعمل شيئاً .

– أعني ألم تكن تقرأ او تشغل نفسها بشيء ما ؟

فردت مس بيرس بغتة :

– كانت تدير إبهامها دون ان تتحرك من مكانها .

– سؤال واحد أخير يا ليدي وستولم . أرجو ان تستديري بوجهك عن مس بيرس .. آه ، حسناً ، والآن هل يمكن ان تصفي لي ماذا ترتدي مس بيرس اليوم ؟

فهزت الليدي وستولم كتفيها وقالت :

– هل تريد ان تختبر قوة ملاحظتي ؟ حسناً ، إن مس بيرس ترتدي ثوباً من القطن مخططاً باللونين الأبيض والبني مع حزام سوداني أحمر ، مطرز باللونين الأزرق والبيج ، وترتدي جوارب حريرية لونها بيج ، وحذاء بنياً من الجلد الاجلاسيه . وهناك رتق في الجورب الأيسر . وتضع حول عنقها عقداً من حبات لونها أزرق ، كما تتزين بسوار عليه نقش فراشة ، وفي إصبع يدها اليمنى الأوسط خاتم له فص من الماس المقلد ، وعلى رأسها قبعة من الفلين ذات لونين أزرق وبني .

وبعد برهة صمت قالت :

هل هناك شيء آخر يا مسيو بوارو ؟

فبسط بوارو يديه وقال :

ـ إني لا أعرف كيف أعرب لك عن إعجابي بقوة ملاحظتك يا ليدي وستول .

ـ إن التفاصيل الدقيقة قلما تفوتني

ونهضت لتغادر الغرفة ، وتبعتها مس بيرس وهي تنظر في أسف إلى الرتق في جوربها الأيسر .

وقبل ان تنصرف مس بيرس تماماً نادى بوارو عليها وقال :

ـ لحظة واحدة من فضلك يا مس بيرس .

فتوقفت بغتة والتفتت اليه قائلة وقد بدا الخوف على وجهها :

ـ نعم يا مسيو بوارو ؟

وانحنى بوارو نحوها وأشار إلى طاولة في الركن وقال :

ـ أترين هذه الباقة من الزهور البرية على هذه الطاولة ؟

فحملقت مس بيرس إلى الزهور وقالت :

ـ نعم .

ـ وهل لاحظت ، عند دخولك الغرفة ، انني عطست مرة أو مرتين ؟

ـ نعم .

ـ وهل لاحظت اني ، أني كنت أشم هذه الزهور ؟

ـ لا . لا لم ألاحظ هذا .

ـ ولكنك تتذكرين اني عطست ؟

ـ أوه ، نعم ، إني أتذكر هذا .

فابتسم بوارو وقال :

ـ حسناً ، لا بأس إن هذه الزهور من النوع الذي يثير شيئاً من الحساسية عند بعض الناس .

- الحساسية ! أوه ، إن لي إبنة عم مريضة بهذه الحساسية ولا تكاد تأكل شيئاً أو تشم شيئاً حتى تصاب بها .

- شكراً ، شكراً يا مس بيرس .

واستطاع بوارو أن يتخلص من مس بيرس ومن حديثها عن حساسية إبنة عمها .

وبعد انصرافها رفع حاجبيه وغمغم قائلاً كأنما يحدث نفسه :

- ولكنني لم أعطس .. نعم .. لم أعطس منذ أسبوعين ، على الأقل .

- ١٣ -

حين دخل لينوكس غرفة مسيو بوارو ، كان الكولونيل كاربري قد تركها لبعض شأنه ، ولو ان الدكتور جيرار كان حاضراً بها لدهش كل الدهشة وهو يرى لينوكس يدخل بخطى ثابتة ، مرفوع الرأس ، رابط الجأش ، أبعد ما يكون عن ذلك الرجـــل المتهالك الضعيف ، الخائف من سيطرة زوجة أبيه .

ونهض بوارو لاستقباله قائلاً :

— طاب صباحك يا مستر بوئتون اني شاكر لك تفضلك بالحضور .

فأومأ لينوكس وقال وهو يتخذ مجلسه :

— لقد نصحني الكولونيل كاربري بالحضور قائلاً انه من الأفضل لنا كلنا ان نتجاوب معك حتى لا يبقى هناك أي شك في طبيعة وفاة أمنا .

فقال بوارو في عرض الحديث :

— لا شك ان الوفاة كانت صدمة شديدة لك .

— نعم طبعاً . أعني ، لا ، ليس إلى حد كبير كنا نتوقع وفاتها في أي وقت بسبب مرضها بالقلب .

— هل كان من الحكمة إذن وهذه حالتها أن تسمحوا لها بالقيام بهذه الرحلة الشاقة .

فرفع الشاب رأسه وقال بوقار :

— إن أمي يا مسيو بوارو اعتادت ان تنفذ رغباتها، فهي إذا قررت شيئاً فلا بد ان تنفذه دون أي اهتمام بمعارضتنا .

— نعم ، إن للسيدات العجائز تصرفات تثير الأعصاب .

فرد الشاب بضيق :

— ما جدوى التحدث في هذه الشؤون الآن ؟ بل مـا هو الغرض من كل هذه الاجراءات التي تتخذونها ؟

— لعلك لا تعرف يا مستر لينوكس ان مثل هذه الاجراءات ضرورية في حالات الوفاة الفجائية .

فقال لينوكس بحدة :

— ماذا تعني بعبارة « حالات الوفاة الفجائية » ؟

فهز بوارو كتفيه وقال :

— في هذه الحالات لا بد للانسان ان يتساءل : هل كانت الوفاة طبيعية او . . او انتحار مثلاً .

— انتحار ؟؟

— إنك طبعاً أكثر الناس دراية بالظروف التي أحاطت بالوفاة . ولكن الكولونيل كاربري في حيرة من امره . انه لا يدري هل يصدر امراً باجراء التحقيق وتشريح الجثة ، أم ؟ حسناً ، فقد طلب مني ان اقوم ببعض التحريات قبل ان يتخذ قراره الأخير بهذا الشأن .

— إني في هذه الحالة مضطر لارسال برقية إلى القنصل الأمريكي في القدس .

— هذا من حقك طبعاً ، ويمكنك ايضاً ان ترفض الاجابة على أية اسئلة اوجهها اليك .

— لا لا . . لا داعي لهذا كله ، اني مستعد للاجابة على اي سؤال وإن كنت أرى ان الأمر ابسط من ان تثار حوله هذه الضجة .

فأومأ بوارو برأسه وقال متلطفا :

ـ انها مسألة إجراءات عادية . وكل ما اطلبه منك ان تخبرني بما حدث بعد ظهر يوم الوفاة . فقد علمت انك تركت المعسكر للقيام بنزهة ذلك الحين .

ـ غادرنا المعسكر كلنا فيما عدا امي واختي الصغرى .

ـ هل كانت والدتك جالسة أمام كهفها عندئذ ؟

ـ نعم ، ككل يوم بعد الظهر منذ وصلنا إلى بترا .

ـ حسنا ، متى بدأت النزهة ؟

ـ بعد الساعة الثالثة .

ـ متى عدت منها ؟

ـ لا ادري على وجه التحديد ، ربما كانت الساعة عند عودتي الرابعة او الخامسة .

ـ اي بعد ساعة او ساعتين من بدء النزهة .

ـ تقريبا ..

ـ هل مررت بأحد اثناء عودتك ؟

ـ لا اذكر .

ـ الم تمر بسيدتين كانتا جالستين في طريق عودتك ؟

ـ ربما .. ربما .

ـ كأنك كنت مستغرقا في تفكير شديد .

ـ هذا ما حدث .

فصمت بوارو قبل ان يستأنف اسئلته قائلا :

ـ هل تحدثت مع والدتك ، اي مع زوجة ابيك عند عودتك ؟

ـ نعم .. نعم هذا ما عملته .

ـ الم تشك لك من إحساسها بتعب او مرض مفاجىء ؟

وفكر لينوكس برهة قبل ان يجيب قائلا .

ـ لا بل كانت في حالة طيبة .

ـ هل يمكن ان اسأل عما دار بينكما بالتفصيل ؟

ومرة اخرى صمت لينوكس قبل ان يجيب :

ـ قالت اني بادرت بالعودة فقلت اجل لأن الجو حار ، ثم سألتني عن الوقت قائلة ان ساعة يدها توقفت . فأخذتها منها وضبطتها ثم أعدتها ووضعتها في معصمها .

فقاطعه بوارو قائلاً برفق :

ـ كم كان الوقت عندئذ ؟

ـ آه ؟

ـ كم كان الوقت حين ضبطت الساعة لوالدتك ؟

ـ كان .. كان الخامسة إلا خمسا وعشرين دقيقة .

فقال بوارو برفق :

ـ إذن فقد كنت تعرف متى عدت للمخيم على وجه التحديد .

فاضطرم وجه لينوكس وقال :

ـ ما اغباني ؟ اني آسف يا مسيو بوارو . لقد خانتني ذاكرتي ولا عجب في هذا بعد كل هذه المتاعب .

ـ اجل .. اجل .. ان لك العذر طبعا .. حسنا ، وماذا حدث بعد ذلك ؟

ـ سألت امي إن كانت تريد شيئا : شرابا ، او شايا او قهوة ، فقالت لا ، ثم ذهبت إلى حديقة الاستراحة ولم يكن بها احد من العمال العرب .. فشربت زجاجة ماء بالصودا ، ثم جلست أقرأ بعض أعداد قديمة من مجلة ساترداي ايفننج بوست ويبدو إني غفوت قليلاً .

ـ وهل لحقتك زوجتك إلى حديقة الاستراحة ؟

ـ نعم ، جاءت بعد مدة غير طويلة .

– ولم تر مسز بونتون على قيد الحياة بعد ذلك ؟
– نعم لم أرها إلا .. ميتة .
– ولم تكن مهتاجة أو مضطربة حين كلمتها ؟
– لا ، كانت تماماً كعهدنا بها .
– هل هذا كل ما لديك من أقوال ؟
– نعم
– حسناً ، أرجو ان تتكرم بارسال زوجتك .
وبعد انصراف لينوكس ، كتب بوارو في مفكرة أمامه ما يلي لينوكس بونتون : الساعة ٣٥ ٤ بعد الظهر .

١٤

نظر بوارو باهتمام إلى نادين وهي تدخل الغرفة بقامتها الطويلة ، ورأسها المرفوع في شموخ ، واعتداد بالنفس ، ثم نهض ليستقبلها ويحييها بصوت رقيق قائلاً :

ـ مسز لينوكس بوئنتون ؟ إنني هيركيول بوارو ، في خدمتك .

وجلست نادين بوئنتون ، وركزت عينيها على وجـــه بوارو ، الذي تابع قائلاً :

ـ أرجو ان تغفري لي موقفي هذا في ساعات أحزانكم .

وصمتت برهة قبل ان تتنهد قائلة :

ـ أعتقد أنه من الأفضل ان أكون صريحة معك يا سيد بوارو .

ـ إني أتفق معك في هذا يا سيدتي .

ـ إذن أرجو ان تعلم اننا لا نشعر بأي حزن على وفاة حماتي ، او هذا هو شعوري أنا على الأقل .

ـ شكراً لك على هذه الصراحة يا مسز لينوكس .

ـ ومع ذلك فأنا أشعر بتأنيب الضمير .

ـ عجباً !

ـ لأني كنت السبب المباشر في موتها ..

فتراخى بوارو في جلسته وقال :

ـ هل تسمحين يا سيدتي وتفسرين حديثك هذا ؟

ـ نعم . هذا ما أريد ان أفعله . لقد خطر لي في أول الأمر ان أحتفظ لنفسي بما حدث . ولكن بعد هذه التطورات ، رأيت أن أذكر الحقيقة .

وأعتقد يا مسيو بوارو ، انك جدير بأن يفضي اليك الانسان ، بأسراره الخاصة .

ـ شكراً يا مسز لينوكس .

ـ حسناً .. يمكنني أن أخبرك ان حياتي الزوجية لم تكن سعيدة ، ولا ذنب لزوجي في هذا لأن زوجة أبيه كانت مسيطرة عليــه تماماً .. وقد خامرني الشعور ، منــذ مدة ، بأني لم أعـد أطيق الاستمرار في هذه الحياة .

وصمتت برهة قبل ان تستطرد قائلة :

ـ وفي يوم وفاة مسز بوئتون ، او على الأصح ، بعد ظهر ذلك اليوم ، اتخذت قراراً نهائياً ورأيت ان أبدأ بتنفيذه فوراً . ومن ثم عدت الى المخيم من نزهتي وانتهزت فرصة وجود مسز بوئتون بمفردها أمام كهفها وأخبرتها بهذا القرار .

ـ حسناً ، يا سيدتي ، هل يمكن معرفة هذا القرار ؟

ـ قررت ان أنفصل عن زوجي

ـ أهكذا ؟

ـ نعم ، وكان مستر كوب صــديق الأسرة ، يلح علي دائماً ان أفعل هــذا لأتزوجه ، وقد وافقت على رغبته في ذلك اليوم .

ـ وهل دهشت مسز بوئتون عندئذ ؟

ـ بل صدمت ، لقد دهشت وغضبت في وقت واحد ، بل لقد تمادت في

غضبها بحيث لم تستطع قول شيء في أول الأمر ، ولم أشأ المجادلة في شأن يخصني ، فنهضت وانصرفت عنها .

وصمتت برهة ثم أردفت قائلة :

ـ ولم أرها بعد ذلك حية .

ـ وأنت تظنين ان وفاتها ناجمة من هذه الصدمة ؟

ـ بل يبدو لي ان هذا هو المؤكد . فقد أجهدت نفسها في الرحلة أكثر مما ينبغي ، وقد أجهز عليها حديثي معها والصدمة التي تلت هذا الحديث ، وإن إحساسي بالذنب يزداد لأني أعرف الكثير عن الشؤون الطبية ، وكان ينبغي إن أدرك سلفاً نتائج مثل هذه الصدمة عليها .

ـ وماذا عملت بالتحديد بعد انصرافك عنها ؟

ـ أعدت الكرسي إلى كهفي ، وهبطت إلى حديقة الاستراحة حيث كان زوجي جالساً .

ـ هل أخبرته بذلك قبل حديثك مع المسز بوانتون ؟

ـ أخبرته في حديقة الاستراحة

ـ وكيف تلقى هذا القرار؟

ـ إضطرب كثيراً .

ـ ألم يطلب منك بالحاح أن تعيدي النظر في قرارك هذا ؟

ـ الواقع انه لم يتحدث كثيراً ، لأنه .. لأنه كان يتوقع أن يحدث هذا عاجلا او آجلا .

ـ عذراً في توجيه هـــذا السؤال اليك ، هل الرجل الآخر هو المستر جيفرسون كوب ؟

ـ نعم .

ـ هل لديك محقن يا مسز لينوكس ؟

وبعد برهة صمت طويلة قال بوارو في هدوء تام :

ـ نعم ، ولا !

فلما رفع حاجبيه في دهشة فسرت الأمر بقولها :

ـ إن لدي محقنا قديما في حقيبة الأدوية بين أمتعـــة السفر . وهو في القدس بالفندق .

ـ آه ، فهمت !

وبعد برهة صمت قالت نادين وهي ترتعد بقلق :

ـ لماذا توجه إلي هذا السؤال يا مسيو بوارو ؟

فلم يجب عن سؤالها وإنما وجه اليها سؤالاً آخر :

ـ أعتقد ان مسز بونتون كانت تتناول عقاراً يحتوي على أحد مستحضرات الديجيتالا !

ـ نعم .

ـ لأنها كانت مريضة بالقلب ؟

ـ نعم .

ـ والديجيتالا من العقاقير التي تحتوي على سموم ؟

ـ أعتقد هذا ، وإن كنت لا أعرف الشيء الكثير عنه ..

ـ إذا كانت مسز بونتون قد تناولت جرعة ، أكبر مما ينبغي ، من هذا الدواء .

فقاطعته بسرعة قائلة :

ـ إنها لم تفعل لأنها كانت دقيقة جداً في هذه الناحية . وكذلك كنت أنا حين أضع النقط بالعدد المطلوب .

ـ ربما كانت نسبة عقار الديجيتالا أكبر من اللازم في هذا الدواء ، أي ربما أخطأ الصيدلي في تحضيره .

ـ أعتقد ان هذا غير محتمل .

ـ حسنا ، سنتأكد من هذا بتحليل الدواء .

ـ هذا أيضاً غير ممكن لأن زجاجة الدواء إنكسرت .

فرفع بوارو حاجبيه باهتمام مفاجيء وقال :

ـ أحقاً . . وماذا كسرها ؟

ـ لا أدري بالتحديد ، إنه أحد العمال كما أظن ، فقد كان الضوء خافتاً عند نقل أمتعة مسز بونتون إلى الكهف ، كما كان الجميع في عجلة ، وقد اصطدم أحد العمال بمنضدة .

ـ إن هذا شيء يثير الاهتمام حقاً .

وتململت نادين بكرسيها وقالت بلهجة تحد :

ـ هل تظن ان مسز بونتون لم تمت من صدمة حديثي معها ، إنما بسبب جرعة زائدة من العقار ! إني لا أرى هذا محتملاً .

ـ حتى لو قلت لك ان الدكتور جيرار الذي كان مقيماً في المخيم وجد أن كمية من عقار الديجيتوكسين ناقصة من زجاجة في حقيبة أدويته ؟

فتسمرت نادين في مكانها وقد امتقع وجهها بشدة .

فقال بوارو :

ـ حسناً يا سيدتي ، ما رأيك في هذا ؟

ومرت بضع لحظات قبل ان ترد قائلة بصوت مرتجف :

ـ أنت تعرف يا مسيو بوارو إني لم أقتل حماتي فقد كانت على قيد الحياة حين انصرفت عنها . ويمكن لعدد كبير من الناس ان يشهدوا بهذه الحقيقة ، وما دمت بريئة من هذه التهمة يمكنني أن أتقدم بالتماس اليك . لماذا تشق على نفسك بالتدخل في هذه المسألة ! إذا أقسمت لك في ان العـــدالة ، والعدالة وحدها قد أخذت مجراها فهل تنفض يديك من المسألة كلها ! فقد كان الشقاء يظلل عدداً من الأبرياء المسالمين ، وهم الآن يعيشون في أمن وسلام وأمل في السعادة ، فلماذا تحاول أن تحطم هذا كله ؟

وركز بوارو نظراته عليها ثم قال :

ـ صارحيني يا سيدتي . ماذا تريدين مني أن أعمل ؟

ـ إني أطلب منك ان توافق على ما أقول ، وهو ان مسز بونتون ماتت ميتة طبيعية .

ـ أرجو ان تحددي الموقف . انك تعتقدين ان حماتك ماتت مقتولة لكنك تريدين مني ان أتجاوز عن هذا .

ـ إني أطلب منك الرحمة .

ـ الرحمة لشخص لا يعرف معنى الرحمة .

ـ انك لا تفهم الحقيقة ، الأمر ليس هكذا .

ـ هل ارتكبت هذه الجريمة يا سيدتي حتى تعرفي الحقيقة كلها !

فهزت رأسها وقالت بهدوء :

ـ لا فقد كانت حية حين تركتها .

ـ إذن ماذا حدث انك إما تعلمين عن يقين او ترتابين .

ـ لقد سمعت يا مسيو بوارو انك في جريمة في قطار الشرق قد قبلت حلا غير رسمي في موقف مماثل لهذا .

فنظر اليها مندهشاً وقال :

ـ من قال لك هذا !

ـ سمعت . فهل ما سمعته صحيح !

ـ لقد كانت الظروف مختلفة

ـ لا ، لقد كان الرجل القتيل شريراً ، كما كانت هي .

ـ إن أخلاق المجني عليه لا دخل لها في أمر كهذا .. وإن الشخص الذي يعطي لنفسه حق الاقتصاص من الغير بلا سند قانوني يمكن أن يتمادى ويصبح خطراً على المجتمع ، ولهذا يجب التخلص منه أو الحد من خطره .

ـ ما أشد صلابتك ؟

ـ سيدتي .. إني عنيد في بعض الظروف . ولا يمكن ان أتسامح مع شخص

يرتكب جريمة قتل . هذه هي كلمة هيركيول بوارو الأخيرة .

فنهضت قائلة وقد تطاير الشرر من عينيها

ـ إذن إذهب واجلب الشقاء على رؤوس أشخاص أبرياء معذبين . . أما أنا فلم يعد لدي ما أقول .

ـ لكن ماذا حدث بعد ان انصرفت عن حماتك وذهبت إلى زوجك في حديقة الاستراحة !

ـ ومن أين لي أن أعرف ؟

ـ إنك تعرفين أو . ترتابين على الأقل

فقالت وهي تنصرف من الغرفة :

إني لا أعرف شيئاً يا مسيو بوارو

- ١٥ -

بعد انصراف نادين، كتب بوارو في مفكرته هذه العبارة : نادين بوئتون: الساعة ٤٫٠٠ بعد الظهر .

ثم استدعى أحد رجال الشرطة ، وطلب منه استدعاء المس كارول بوئنتون .

فلما أقبلت هذه ، نظر اليها بوارو باهتمام .

ولاحظ اضطراب أعصابها في ارتعاد أصابع يديها الجميلتين ، وشحوب وجهها .

وقال لها محيياً .

ـ تفضلي بالجلوس يا مس كارول . .

فلما جلست في خضوع قال لها :

ـ الآن، أرجو منك أن تخبريني بكل ما تعرفين عما حدث بعد ظهر اليوم الذي حدثت فيه الوفاة .

وأجابت بسرعة ، جعلت بوارو يشك في أنها تحفظ الإجابة ، عن ظهر قلب :

ـ لقد ذهبنا إلى نزهة . . ثم عدت إلى المخيم

ـ لحظة واحدة من فضلك هل ذهبتم معاً . كلكم ؟

ـ لا . لقد كنت معظم الوقت مع أخي ريموند أو مع المس كنج ؛ ثم انفردت بنفسي .

ـ شكراً ، ثم عدت إلى المخيم . متى على وجه التقريب ؟

ـ أعتقد ان الساعة كانت الخامسة وعشر دقائق .

ودون بوارو في مفكرته هذه العبارة : كارول بوئتون : الساعة ١٠ : ٥ بعد الظهر تقريباً . .

ثم قال لها :

- وبعد ذلك ؟

- كانت أمي جالسة حيث تركناها . . فذهبت اليها وكلمتها ، ثم مضيت إلى خيمتي .

- هل تذكرين الحديث الذي دار بينكما ؟

ـ قلت لها فقط ان الجو حار وإني سأستريح قليلاً في خيمتي . قررت هي انها ستبقى في مكانها .

هذا هو كل شيء

ـ ألم يكن في مظهرها شيء خاص لفت نظرك ؟

ففكرت برهة ثم ردت :

ـ أتذكر الآن فقط ان وجهها كان شديد الاحمرار !

ـ ربما كان من صدمة تلقتها ؟

ـ صدمة ؟

ـ نعم . . أو لعلها كانت غاضبة ، بسبب تصرف أحد العمال في المخيم !

ـ ربما !

ـ كأنها لم تخبرك بشيء ؟

ـ لا ، مطلقاً .

- وماذا عملت بعد ذلك ؟

- عدت إلى خيمتي ، ورقدت نحو نصف ساعة ، ثم توجهت إلى حديقة الاستراحة .. حيث كان ، أخي وزوجته ، جالسين يقرآن .

- وماذا فعلت أنت؟

- فرغت من خياطة قطعة ملابس ثم أخذت مجلة .

- هل تحدثت مع أمك مرة أخرى ، عند توجهك إلى حديقة الاستراحة ؟

- لا ، لقد توجهت إلى الحديقة فوراً . بل أعتقد إني لم أنظر إلى حيث كانت أمي جالسة .

- وبعد ذلك ؟

- بقيت في حديقة الاستراحة حتى .. نقلت الينا مس كنج نبأ وفاتها

- وماذا كان شعورك عندئذ يا مس كارول ؟

فحملقت في وجهه برهة .

ثم قالت :

- كانت صدمة شديدة .

- أحقاً !

- ماذا تعني يا مسيو بوارو !

- هل كانت صدمة شديدة حقاً؟ ألا تذكرين حديثاً دار بينك وبين ريموند في ليلة ما بمدينة القدس ؟

وأصابت كلماته الصميم ، فإذا وجهها يمتقع بشدة ، وإذا هي تقول هامسة :

- هل تعرف هذا ؟

ــ نعم .

ــ ولكن .. كيف !

ــ سمعت جزءاً من هذا الحديث وأنا أغلق نافذة غرفتي .

ودفنت كارول وجهها بين يديها وبكت .

فقال بوارو :

ــ كنت تتآمرين ، مع أخيك ريموند ، على قتل زوجة أبيكما !

وبصوت تقطعه شهقات البكاء ، قالت :

ــ كنا مجنونين . مجنونين في تلك الليلة ..

ــ ربما .

ــ إن من المستحيل عليك ان تتصور الحالة النفسية التي كنا عليها . لقد كان عذابنا محتملاً في أمريكا ..

أما بعد أن رأينا الدنيا وجمالها ، فقد تضاعف شعورنا بالسجن والحرمان .

وهكذا انتابنا الشعور باليأس ولا سيما بسبب حالة جيني .

ــ جيني !

ــ شقيقتي الصغرى . جنيفرا . إنك لم ترها .. لقد بدأت قواها العقلية تختل من فرط الضغط الواقع عليها .

وكنت أخشى ، مع ريموند ، ان ينتهي بها الأمر إلى الجنون التام . وقد وافقتنا نادين على هذا ، ونادين تعرف في مثل هذه الأمور الصحية أكثر منا .

ــ نعم ، نعم ، طبعاً .

ــ وفي تلك الليلة في القدس ، كانت حالتنا النفسية قد بلغت الذروة من السوء ، مما جعلنا نظن ان التآمر على قتل زوجة أبينا أمر ضروري ،

وليس فيه ما يسيء إلى أحد ..

لقد آمنا ، عندئذ ، انها مجنونه تماماً .. إني لا أعرف رأيك ، في أمر كهذا . ولكني أعتقد ان قتل إنسان ، في بعض الأحيان ، يعتبر عملا نبيلا .

فأومأ بوارو برأسه وقال .

- هذا ما يبدو أحياناً وما أثبته التاريخ !

- وهذا ما شعرت به أنا وريموند في تلك الليلة . ولكننا لم ننفذ أقوالنا .. نعم ، لم ننفذها بطبيعة الحال . فحين أشرقت شمس الصباح ، بدت لنا أقوالنا غريبة شاذة مضحكة ! بل وشريرة أيضاً . أجل يا مسيو بوارو لقد ماتت أمنا ميتة طبيعية جداً بسبب مرض القلب ، وليس لي أو لريموند أي يد في موتها .

فقال بوارو بهدوء :

- هل تقسمين يا آنسة أمامي بأن موت والدتك لم يتسبب عن أي تصرف منك ؟

فرفعت كارول رأسها وقالت بصوت ثابت عميق :

- أقسم بالله إني لم أسيء اليها يوماً .

فتراخى بوارو في مقعده وقال :

هكذا الأمر إذن؟

وبغتة أردف قائلا :

- ما هي الخطة التي فكرتما في اتخاذها لقتل مسز بونتون ؟

- لم تكن لدينا أية خطة ، ولم نصل بتفكيرنا لهذا الحد

فنهض بوارو وقال :

- هل تسمحين بارسال أخيك يا آنسة ؟

ونهضت بدورها وقالت مترددة :

– هل صدقتني يا مسيو بوارو ؟
– هل يبدو علي إني لا أصدقك ؟
– لا .. ولكن .

ثم استدارت ومضت إلى البـاب .. وهناك توقفت ونظرت إلى بوارو ثم قالت :

– لقد أخبرتك الحقيقة كلها .

فلم يجب بوارو ..

فانصرفت هي من الغرفة ببطء .

- ١٦ -

لاحظ بوارو الشبه الكبير بين ريموند وأخته كارول .. وكان الشاب عند دخوله يبدو ثابت الجنان ، متمالك الأعصاب ، وبعد ان جلس في مقعده حملق في وجه بوارو وقال :

— حسناً !

فقال بوارو بهدوء :

— هل تحدثت أختك معك؟

— نعم حين طلبت مني ان آتي اليك . ومن حقك طبعاً أن ترتاب في أمرنا بعد ان سمعت حديثنا في تلك الليلة . لكني أؤكد لك أن هذا الحديث كان حلم ليلة صيف . لا أكثر . لقد كنا نعاني من إرهاق عصبي عنيف ، وكان الحديث عن قتل زوجة أبينا مجرد تخفيف عن حالتنا العصبية فقط .

— هذا محتمل جداً .

— وفي الصباح بدت لنا أقوالنا مضحكة ، وأقسم لك يا مسيو بوارو انني لم أفكر في هذا الشأن بعد ذلك

ولما لم يقل بوارو شيئاً تابع ريموند قائلاً :

— أوه ! نعم .. إن من السهل على أي إنسان أن يقول هذا . أن يقول انه بريء ، وانه لم يفكر في إيذاء أحد . وأنا لا أتوقع أن تصدقني بلا دليل

يؤيد أقوالي .. ولكن عليك ان تراعي هذه الحقائق . لقد تحدثت مع أمي قبل السادسة بقليل ، وكانت على قيد الحيـــاة عندئذ . ثم دخلت خيمتي واغتسلت ثم انضممت إلى الجميع في حديقة الاستراحة ، وبقيت فيهـا مع كارول أمام الجميع دون أن نتحرك من مكاننـا حتى سمعنا نبأ وفاتها . اني أؤكد لك يا مسيو بوارو ان وفاتها كانت طبيعية ، ولا يمكن ان تكون غير هذا . لقد كان المكان مليئاً بالعمال العرب الرائحين والغادين

ـ هل تعرف يا مستر ريموند ان مس ساره تؤكد ان زوجة أبيك ماتت قبل ساعة ونصف على الأقل من السادسة والنصف حين اكتشاف وفاتها . أي أن موتها كان في الخامسة مساء على الأقل .

فحملق ريموند في وجهه مصعوقاً ثم قال :

ـ هل أخبرت ساره هذا ؟

ـ نعم ، فما رأيك ؟

ـ ولكن .. لكن هذا مستحيل .

ـ هذه هي شهادة مس ساره كنج . وها أنت الآن تأتي وتخبرني بأن زوجة أبيك كانت على قيد الحياة ، قبل أربعين دقيقة من اكتشاف وفـاتها ؟

ـ ولكنها كانت كذلك ؟

ـ كن حريصاً في أقوالك يا مستر ريموند .

ـ لا شك أن سارة أخطأت التقدير ، لا بد ان هناك عوامل أخرى أغفلتها ، مثل انعكاس الحرارة على الصخور أو شيء من هذا القبيـل . إنني أؤكد لك يا مسيو بوارو أن أمي كانت على قيد الحياة قبل السادسة بقليل وإني كلمتها ..

ولما لم يقل بوارو شيئاً إنحنى ريموند إلى الأمام وقال :

ـ أتثير يا مسيو بوارو كل هذه الشكوك لأنك سمعت ذات ليلة حديثـاً

مضحكاً دار بين أخ وأخته يعانيان من إرهاق عصبي !

فهز بوارو رأسه وقال :

— انك مخطىء في هذا يا ريموند ، هناك شيء آخر أم هناك السم الذي أخذ من حقيبة أدوية الدكتور جيرار .

فحملق ريموند في وجهه وقال :

— سم !

ثم نهض وأزاح الكرسي بعيداً عنه وأردف قائلاً :

— أهذا ما ترتاب فيه ؟

— هل خطتك تختلف عن هذه ؟

فقال ريموند بلا حرص :

— أوه .. نعم ! إن هذا يغير كل شيء .. إنني لا أستطيع أن أركز تفكيري في شيء الآن .

— ماذا كانت خطتكما؟

— خطتنا ؟ كانت ..

وأمسك ريموند عن الحديث بغتة وقد التزم جانب الحذر ثم قال :

— أعتقد انني لن أقول شيئاً أكثر مما ذكرت .

— حسناً ، كما تشاء .

ثم راح يرقب الشاب وهو ينصرف من الغرفة .

وأخيراً تناول المفكرة وراح يكتب فيها بخط دقيق أنيق هذ الكلمات :

ريموند بوينتون : الساعة ٥,٥٥ بعد الظهر

ثم تناول ورقة كبيرة وراح يدون فيها شيئاً . فلما فرغ تراجع في مقعده وراح يتأمل ما دونه .. وكان كما يلي :

غادر آل بوينتون والمستر كوب المخيم في الساعة ٣,٥ تقريباً .

غادر الدكتور جيرار ومس ساره كنج المخيم في الساعة ٣,١٥ تقريباً .

غادرت الليدي وستولم ومس بيرس الخيم الساعة ١٥ر٤
عاد الدكتور جيرار في الساعة ٣٠ر٤ تقريباً .
عاد لينوكس في الساعة ٣٥ر٤ تقريباً .
عادت نادين الى الخيم وتحدثت مع مسز بونتون في الساعة ٥٠ر٤ .
عاد ريموند إلى الخيم في الساعة ٥٠ر٥ .
عادت ساره كنج الى الخيم في الساعة ٠ر٦ .
إكتشاف الوفاة في الساعة ٣٠ر٦ .

- ١٧ -

طوى بوارو هذا الجدول ثم أمر باستدعاء المرشد السياحي محمود ، فأقبل هذا بجسمه المتين فابتدره بوارو بقوله :

- ماذا كنت تفعل مع عمالك في الساعة الخامسة والنصف ، مساء يوم الوفاة ؟

- الساعة الخامسة والنصف ؟ لم يكن أحدنا يعمل شيئاً . لقد أعددنا الغداء في الثانية ، ثم رفعنا بقاياه في الثالثة إلا ربعاً تقريباً ، ونام جميع السائحين بعد ذلك أو على الأقل دخلوا خيامهم .

وفي الساعة الخامسة خرجت إلى حديقة الاستراحة لأشرف على مطالبهم وأقدم الشاي لمن يريد منهم . ولكنني لم أجد أحداً . كانوا جميعاً قد خرجوا للنزهة في الجبل وسررت بهذا ، وعدت إلى خيمتي لأستأنف النوم .

وفي الساعة السادسة إلا ربعاً بدأت المتاعب .. لقد عادت السيدة الانجليزية وطلبت إعداد الماء الساخن لها لكي تصنع إبريقاً من الشاي ، هذا بينما كان العمال يجهزون المائدة للعشاء . وقد أثارت ضجة كبيرة عن مياه الشرب قائلة ان هذه المياه يجب ان تغلى قبل تناولها ، وإنني يجب أن أشرف على هذا بنفسي .

ـ لقد علمت ان مسز بونتين قبل وفاتها كانت غاضبة على أحد العمال ، فهل تعرف من هو العامل الذي أثار غضبها ؟

ـ ومن أين لي أن أعرف ؟. إن السيدة العجوز ، لم تشك العامل إلي ..

ـ ألا يمكنك ان تتحرى وتعرف من هو ؟

ـ لا يا سيدي .. هذا مستحيل ، لأن العمال لن يعترفوا لي الآن بارتكاب أي خطأ .. أتقول ان السيدة العجوز كانت غاضبة ؟ حسناً . من الطبيعي أن يحاول العامل المخطىء أن ينكر كل شيء .

- ١٨ -

كانت سارة كنج جالسة على ربوة تقتطف ، وهي مشغولة الفكر ، بعض الأزهار القريبة منها .

وأقبل الدكتور جيرار وجلس بجوارها فلما شعرت بـه ، قالت له بلهجة حادة :

ــ لماذا أثرت كل هـذه المشكلات ، يا دكتور جيرار ؟. فلولا أقوالك ..

فقاطعها الدكتور جيرار قائلاً ببطء :

ــ هل كنت تفضلين أن التزم السكوت ؟.

.. لقد كنت محموماً . حرارتك مرتفعة جداً ، وهذا يعني انك لم تكن في حالة تجعل تفكيرك واضحاً وصافياً .

ومن المحتمل ان يكون موجوداً في مكانه دون ان تراه طيلة الوقت . ولعلك قد اخطأت في تقدير كمية عقار الديجيتوكسين الذي كان لديك ، او لعل أحد العمال عبث به .

فقال جيرار في لهجة واقعية :

ــ لا داعي لهذا القلق .. إن الأدلة ضعيفة ، وغير واقعيـــة . وسوف ترين بنفسك ، كيف سينجو اصدقاؤك ، من آل بوئتون ، من

العقاب .

فهتفت ساره بعنف :

-- أترى ؟ إن احداً لم ينج منها في النهاية ! حتى وهي في قبرها لا تزال تمسك بهم !

لقد كانت رهيبة في حياتها .. ورهيبة في موتها .. وإني لأشعر انها الآن تستمتع بما يعانونه من اجلها .

وبغتة قالت بصوت مختلف اللهجة تماماً :

-- هوذا الرجل القصير الأصلع مقبل نحونا

فأجاب جيرار :

-- إنه المسيو بوارو ، لعله آت للبحث عنا .

فلما وصل بوارو اليهما ، مسح جبينه وقال لاهثاً :

-- يا لهذه البلاد الصخرية .. مسكين حذائي .

فردت ساره بلا رحمة :

- يمكنك ان تستعير ، ادوات تنظيف الأحذية ، من الليدي وستولم !.

فهز بوارو رأسه وقال :

-- ان ادواتها لا تستطيع ان تزيل الخدوش !

- ربما .. ولكن لماذا ، بحق السماء ، ترتدي حذاء ثميناً في منطقة صخرية كهذه !

-- اني احب ان ابدو دائما في احسن مظهر ..

فسألته ساره بسخرية :

-- حتى في المناطق الصحراوية ؟!

فقال جيرار :

-- ان النساء لا يكن في احسن مظهر بالمناطق الصحراوية .. فرغم

ان المس كنج تبدو انيقة ونظيفة دائما ، فإن الليدي وستولم لا تبـــدو كذلك بملابس الركوب الخشنة . يا لها من إمرأة رهيبـــة المنظر ! وتلك المسكينة مس بيرس ، إن ملابسها دائماً مسترخية ، كأوراق الكرنب الذابلة . .

حتى مسز نادين بونتون التي تتمتع بجمال باهر ، لا تبدو أنيقة ، إن ملابسها لا تلفت الأنظار إعجاباً

فردت سارة في لهجة لا تخلو من التهكم :

ـ أعتقد أن المسيو بوارو ، لم يصعد الينا ، ليتحدث عن الملابس النسائية ؟.

قال بوارو :

ـ صدقت ! لقــد جئتــكم لأستشير الدكتور جيرار . إن لآرائـه قيمتها الكبيرة في نظري ، وكذلك آراؤك يا مس كنج . إنك شابة وعلى إلمام بأحدث نظريات علم النفس . . إني أريد ان أعرف كل ما يمكن عن مسز بونتون .

فردت ساره :

ـ ألم تعلم الآن كل شيء عنها ؟

قال بوارو :

ـ هناك أشياء ما زلت أجهلها . . فمثـــلا : ما هو السبب الذي جعل المسز بونتون تقوم بهذه الرحلة ، مع علمها بأن رحلة كهذه ، قد تفتح في أذهان سجنائها آفاقاً جديدة ، وتجعلهم يفكرون جدياً في التمرد عليها !

فابتسم الدكتور جيرار وقال

ـ إن تفسير هذا الموقف بسيط جداً . إنه نابع من الملل . . لقــد ملت مسز بونتون حياتها ، بعد أن نجحت تمامـــاً في إخضاع أفراد

أسرتها لإرادتها . .

ولهذا رأت أن تغزو ، مثل الاسكندر ، آفاقاً جديدة تمارس فيها نزعتها نحو السيطرة

ومن ثم فكرت في هذه الرحلة ، وهي تعلم ان سجناءها سيحاولون التمرد عليها ، وهذا سيتيح لها لوناً من الصراع المثير من أجل إعادتهم الأقفاص ، تماماً كما تفعل مروضة الوحوش .

فتنهد بوارو بعمق وقال :

ــ صح . صح .. هذه هي الحقيقة الكاملة ، وإن كل شيء يتفق معها وإن الأم قد دفعت الثمن في النهاية .

فانحنت ساره إلى الأمام وردت :

ــ هل تعني أنها زادت في قسوتها على ضحاياها حتى دفعتهم أو دفعت أحدهم إلى افتراسها ؟

فأومأ بوارو برأسه

ثم سألته :

ــ من هو ؟. أو هي ؟

ولم يجب بوارو ، وإنما راح يركز نظراته ، على فتاة تسير بجوار الربوة . .

كانت تسير بخطوات رشيقة خفيفة ، وقد عكس شعرها الذهبي ضوء الشمس وبدت على شفتيها إبتسامة حالمة

فتنفس بوارو بعمق وقال :

ــ ما أجملها ، وما أجمل وجهها الحالم وخطواتها الرشيقة . هكذا يجب أن تمثل أوفيليا في المسرح . .

مثل إلهة شابة تسير في عالم غريب ، وقد امتلأت بالسعادة لتحررها من آلام البشر !

وقال جيرار :

ــ صحيح ، صحيح .. إنك على حق ، إنه وجه يحلم به الانسان ، أليس كذلك ؟

لقد حلمت به وأنا أعاني الحمى في خيمتي بمنطقة بترا ، لقد فتحت عيني لأرى هذا الوجه الحالم والبسمة العذبة ، ما أجمله حلم ، وعندما صحوت شعرت بالأسف .

ثم اردف وقد استرد هدوءه :

ــ إنها جنيفرا بونتون .

بعد لحظة كانت الفتاة قد وصلت اليوم
فقام الدكتور جيرار بمهمة التعارف ، فنظرت جنيفرا باهتمام إلى بوارو الذي قال لها برفق :
ـ هل تتكرمين بالسير معي قليلاً يا مس جنيفرا ؟
فسارت بوداعة معه ، فلما ابتعدا قالت له بغتة :
ـ انك مفتش مباحث خاص اليس كذلك يا مسيو بوارو ؟
ـ صح ، ومشهور جداً .
ـ أشهر مفتش مباحث في الدنيا .. ولا شك إنك جئت الى هنا لحمايتي .
ـ هل أنت في خطر يا آنسة ؟
ـ صح ، فقد أخبرت الدكتور جيرار في مدينة القدس انني لست أحد أفراد أسرة بوينتون ، إني أميرة ملكية متخفية ، وكان بارعاً إذ أخفى حقيقته عني ، لكنه تبعني إلى مدينة الصخور الحمراء ليتولى حمايتي ، إنهم يريدون قتلي ، ولهذا يجب ان آخذ جانب الحذر دائماً .
فأومأ بوارو برفق وقال :
ـ أهكذا ؟

ـ نعم ، ولكن الدكتور جيرار إنسان طيب القلب ، انـــه يحبني بكل جوارحه .

ـ يحبك ؟

ـ نعم ، كان يذكر اسمي في نومه ، لقد رأيته هناك .. في خيمتـه يتقلب ويذكر إسمي .. وتسللت بخارجة .. وكنت أظن انه استدعاني إن أعدائي كثيرون ، وهم حولي في كل مكان .. وبعضهم يتنكرون في ملابس غريبة الشكل !

ـ أين كنت يا مس جنيفرا بعد ظهر يوم الوفاة ؟

ـ في خيمتي ا. وكان الجو حاراً داخلها ، ولكني لم أجرؤ على الخروج خوفاً من ان يقتلوني .

ثم ارتعدت واردفت قائلة :

ـ لقد أطـل واحد منهم برأسه الى داخـل خيمتي ، وكان متنكراً في ملابس العرب .. وتظاهرت بالنوم .. وكان هذا الشيخ يريد أن يختطفني ..

وسار الاثنان فترة بسكوت

وأخيراً قال بوارو :

ـ ان أقاصيصك هذه بارعة جداً .

فضربت الأرض بقدمها وردت غاضبة :

ـ هذه ليست أقاصيص يا مسيو بوارو ، انها حقائق .

ثم استدارت وانطلقت بعيداً عنه هابطة التل .

وبينما كان بوار يشيعها بنظراته ، سمع وراءه صوتاً يقول :

ـ ماذا قلت لها !

وكان المتحدث هو الدكتور جيرار ، وكانت سارة في طريقها اليهما . وبعد ان سار الثلاثة برهة ، قال بوارو مجيباً :

ـ أخبرتها انها تصورت لنفسها اقاصيص جميلة .

ـ ويبدو انها غضبت ! ان غضبها هذا قال حسن .. انه يدل على انها لم تفقد عقلها تماماً ، وأعتقد اني سأستطيع علاجها ، والأخذ بيدها الى الشفاء .

ـ آه ! انك ستتولى علاجها إذن .

ـ صح .. لقد تحدثت في هذا الشأن مع المستر لينوكس وزوجته . وستحضر جنيفرا الى باريس وتدخل احدى المصحات التي أشرف عليها . وبعد ذلك سنلحقها بمعهد للتمثيل .

ـ التمثيل ؟

ـ نعم ، انها ستنجح في هذه المهنة نجاحاً عظيماً ، لأنها في الواقع قد اخذت عن أمها حب السيطرة والطموح ، والتمثيل على المسرح هو المنفذ الوحيد للتخفيف من هـذا الشعور ، انها على المسرح تستطيع ان تتقمص أية شخصية تتمنى ان تكونها .

وبعد ان فرغ من حديثه الحفي واستأذن للانصراف ، عندئذ قالت ساره لبوارو بعد ان سارا معاً برهة :

ـ اني لا أتفق معه في أنها اخذت عن أمها تلك الصفات الرهيبة ، وذلك رغم اني شعرت نحو تلك المرأة بالعطف يوماً .

ـ احقاً ؟ متى كان ذلك .

ـ في القدس ، في بهو الفندق ، فقد شعرت فجأة انها انسانة جديرة بالعطف والاشفاق ، وخيل الي أن من واجبي ان أرفق بها واجعلها تشعر بما في النفس البشرية من خير .

فلما ذهبت اليها ، وتحدثت معها ، لمحت الليدي وستولم جالسة بالقرب منا ، وخطر لي انها تسمع حديثنا .

وعندئذ ، انتابني الخجل والارتباك .. وشعرت انني ارتكبت أكبر

حماقــة ..

ـ هل تتذكرين الكلمات ، التي قالتها لك المسز بوينتون في ذلك الحين ..

ـ أعتقد هذا .. كانت كلمات غريبة ، وان غرابتها هي التي جعلتني أذكرها ..

لقد قالت لي وهي تحملق فيما ورائي :

« اني لا أنسى أبداً ، تذكري هذا ؛ اني لا أنسى قط شيئاً ولا تصرفاً ولا اسماً ولا وجهاً » .

وارتعدت ساره واردفت قائلة :

ـ كانت تقول هذه العبارة بلهجـــة كلها الشر .. واني لأكاد أسمع صوتها الآن .

فنظرت اليه فجأة وسألته :

ـ مسيو بوارو .. هل وصلت في تحرياتك الى شيء معين .

ـ نعم

ـ ماذا .

ـ عرفت مثلا ان ريموند كان يتكلم مع اخته كارول ، في تلك الليلة بالقدس ..

ـ هل .. هل أخبرته .

فنظر اليها طويلا ثم قال :

ـ هل يهمك الأمر يا مس كنج .

ـ جداً ، ولكني اريد ان اعلم .

ـ لقد أخبرته فعلا ، ولكنه قال ان حديثه كان نابعاً من توتره العصبي ، وانه نسي كل شيء في الصباح ، والآن هل يمكن ان تخبريني يا مس كنج ماذا يخيفك في هذا الأمر .

وساد السكوت برهة ثم ردت :

ـ في عصر ذلك اليوم .. كنت معه .. مع ريموند في الجبل .. وقد صارح كل منا الآخر بحبه وقال لي أنه يجب أن يفعل شيئاً قبل أن تخونه شجاعته ، وقد فكرت انه يعني الرغبة في مصارحتها بحبه لي .. ولكن .. لنفرض انه كان يعني ..

ثم ساد السكوت فجأة ..

* * *

خرجت نادين من فندقها بمدينة عمان . وعندئذ التقت بالمستر كوب الذي كان واقفاً في انتظارها ، وقد قال لها :

ـ هل نتمشى قليلا يا نادين ؟

ولما وصلا إلى الربوة المكسوة بالأزهار ، قالت له فجأة :

ـ إني آسفة يا مستر كوب ، أريد ان أصارحك بأمر خطير ..

ـ طبعاً .. طبعاً يا عزيزتي ، قولي ما تريدين ، دون أن تشقي على نفسك .

وبعد تردد وجيز قالت :

ـ إنك إنسان طيب القلب يا جيفرسون ، وصبور ، وقد عاملتك معاملة سيئة ..

فقاطعها قائلا :

ـ أرجوك يا نادين . لا داعي لأن تزعجي نفسك بشأني . إني أعلم ماذا تريدين ان تقولي . لقد تغيرت الأحوال الآن ، وأشعر أن في مقدورك أن تستأنفي حياة سعيدة مع زوجك . أليس كذلك ؟

فنظرت اليه متشكرة ثم ردت :

ـ صحيح يا جيفرسون .. إنني لن أستطيع التخلي عن لينوكس .. فهل تغفر لي ؟

ـ لا شيء يستحـــق ان أغفره لك . ولكن يكفي أن نستمر صديقين حميمين ، كما كنا ، وما عليك إلا ان تنسي حديثنا ، في عصر ذلك اليوم .

فوضعت يدها على ذراعه في رفق ثم ردت :

ـ شكراً لك يا عزيزي جيفرسون .. سأذهب الآن لأتحدث إلى زوجي ..

- ٢٠ -

التقى بوارو أثناء عودته إلى الفندق بمس بيرس ، التي اندفعت تقول بحماس :

ــ لم أعرف إلا في هذا الصباح انك مسيو هيركيول بوارو المشهور ، فقد قرأت الكثير عنك يا سيدي . ولشد ما تمنيت ان أقابلك لأخبرك بما شاهدت . إن الإنسان يجب ألا يغفل عن أي شيء ولو كان بسيطاً في مثل هذه الظروف . أقصد ظروف تحرياتك عن وفاة مسز بوئنتون المسكينة ، تصور ان ابنتها الصغرى تعتقد أنها أميرة من بيت مالك ! يا للعجب ماذا كنت أقول !. نعم،لا بد ان مسز بوئنتون قتلت وإلا لما اهتممت بالأمر . لا شك في هذا .

فقاطعها قائلا :

ــ حسناً ، حسناً .. يا مس بيرس . ماذا تريدين ان تقولي لي ؟

ــ إن ما رأيته ليس بالأمر الخطير . ولكن من واجبي أن أخبرك به . لقد صحوت في الصباح التالي ليوم الوفاة مبكرة أكثر من المعتاد .. وانتهزت هذه الفرصة لأتمتع بشروق الشمس ، وأنت تعرف ان الشروق في هذه المناطق .

ــ نعم .. نعم ، وماذا شاهدت ؟

ـ فوجئت برؤية إحدى إبنتي آل بونتون تلقي بشيء إلى الجدول وليس في هذا ما يثير الانتباه ولكن هذا الشيء كان يلمع ..

ـ أي الابنتين !

ـ أعتقد انها التي يدعونها كارول .. وربما كانت الصغرى .. لقد كان ظهرها إلي ، والشمس في عيني . ولكن الصغرى شعرها ذهبي يميل إلى الاحمرار ، بينما شعر كارول ذهبي يميل إلى الاصفرار .. ولهذا أرجح أنها كارول .

ـ رأيتها تلقي بشيء يلمع !

ـ نعم ، ولم أهتم بالأمر . ولكني حين مررت على ضفة الجدول بعد ذلك ، شاهدت المس كنج هناك .. وشاهدت أيضاً بين المخلفات على الضفة صندوقاً معدنياً صغيراً ، أدركت انه هو الذي ألقته المس كارول الى الجدول .. إنه صندوق معدني من النوع الذي يحتفظ فيه بالحقن الزجاجي ورأيت ان أتناول الصندوق لأرى ما بداخله .. وقد وجدت الحقن فيه سليماً غير مكسور .. فتملكني العجب طبعاً ، ولكن المس كنج تحدثت ورائي ، فلم أشعر بها وهي آتية .. وذكرت ان هذا الحقن يخصها وانها جاءت تبحث عنه ، ثم أخذته وانصرفت .

واستطردت مس بيرس تقول :

ـ ولم أهتم كثيراً بالأمر ، وان كنت قد تساءلت في نفسي عن السبب الذي يجعل مس كارول تقذف بحقن المس كنج الى الجدول ، ليسقط على الضفة الأخرى بين النفايات . ان هذا التساؤل هو الذي جعلني أخبرك بالأمر .

ـ شكراً جزيلاً ، يا مس بيرس .. فقد زودتني بالحلقة الأخيرة التي أستكمل بها سلسلة تحرياتي . لقد أصبح كل شيء الآن ، واضحاً كل الوضوح .

فهتفت مس بيرس في بهجة التلميذ السعيد :
ــ أحقاً ! ما أسعدني بهذا .

وبعد ان صحبها الى الفندق ، وقف برهة يدون في ورقة معه :
ــ انني لا أنسى .. تذكري هذا . انني لا أنسى قط ، شيئاً ...

ثم أردف قائلا لنفسه :
ــ نعم .. ان كل شيء أصبح واضحاً الآن .

- ٢١ -

أتم بوارو استعداداته لمواجهة جميع الذين تدور حولهم شبهات ارتكاب الجريمة .. وقد اتخذ من احدى غرف الفندق ما أسماه مسرحاً للفصل الأخير ، وفي جانب من هذا المسرح جعل افراد اسرة بوينتون يجلسون معاً : ريموند وكارول ، ولينوكس ونادين ، وجنيفرا . وفي الجانب الآخر جعل ساره والطبيب جيرار والمستر كوب يجلسون معاً ، وأمامهم جميعاً جلس الكولونيل كاربري .

أما هو فقد وقف وقال لهم بعد ان تكامل جمعهم :

- أيها السيدات والسادة ، ان اجتماعنا هذا ليس له أية صفة رسمية ، وكل ما في الأمر ان الكولونيل كاربري شرفني وطلب مني العمل على معرفة الحقيقة عن وفاة مسز بوينتون .

وهنا قال لينوكس بحدة :

.. ولماذا كل هذه الضجة والوفاة طبيعية !

فقال الكولونيل كاربري :

كان كل شيء يدل على ان الوفاة طبيعية فعلا .. الرحلة الشاقة وإجهاد مسز بوينتون ، ومرضها بالقلب وكبر سنها . ولكن الدكتور جيرار تطوع ببلاغ في صبيحة اليوم التالي عن وفاة مسز بوينتون قال فيه أن كمية من

عقار شديد المفعول أخذت من حقيبة أدويته ، وأن محقنـا أخذ في يوم الوفاة من حقيبته ثم أعيد إلى مكانه في أثنـــاء الليل أو في الصباح ، كما لوحظ على معصم السيـــدة المتوفاة ، علامة ناشئة من وخز إبرة محقن طبي . .

وخيم على الجميع صمت عميـق بحيث لو سقط في الغرفة إبرة لكان لها رنين مسموع . .

والتقط بوارو حبل الحديث وقال :

– وأخبرني الكولونيل كاربري بشكوكه ، ولكنني صارحته بأني قد أعجز عن إقامة الدليل الكافي لإدانة الجاني أمام المحكمة ، إلا ان هذا لا يمنع من إظهار الحقيقة كاملة عن هذه الوفـــاة . . وذلك ، ببساطة ، عن طريق توجيه الأسئـــلة ، إلى الأشخاص الذين كانوا مع المسز بوئتون .

وأحب ان أذكر لكم أيها الأصدقاء ، أن أفضل طريقة لكشف غوامض جريمة ما ، هي جعل المتهمين أو المرتاب في أمرهم يتحدثون ، وفي النهاية لا بد أن يكشف أحدهم أمر نفسه .

وبعد برهة سكوت قال مستطرداً :

– لقد فكرت اولاً في احتمالات وفاة مسز بوئتون وفاة طبيعية . وفي النهاية قررت ان الوفـــاة لم تكن طبيعية بأي حال . إن ضياع المحقن ، ثم موقف أفراد الأسرة من السيدة المتوفاة ، أكد لي أن هنـــاك جريمة قد ارتكبت ، لا عن عمد وإصرار فحسب ، وإنما كل فرد من أسرة المجني عليها كان يعرف انهـا ماتت مقتـولة ، وإن الجميع تصرفوا معاً ، على هذا الأساس .

واستأنف بوارو حديثه وهو ينظر إلى الجميع :

– إن هناك حافزاً قوياً لارتكاب الجريمة ، وهو المال إن كل فرد من

الأسرة سيستفيد من موتها ويرث ثروة طائلة . هذا عدا تحرر أفراد الأسرة كلهم من طغيانها واستبدادها بهم . وقد خطر ببالي أولاً ان جميع أفراد الأسرة مشتركون في ارتكاب هذه الجريمة ، لأن أقوالهم كانت متناقضة وتدل على أنهم يخفون شيئاً ما . ولكنني رأيت أن أنظر اولاً في احتمال ان يكون أحدهم فقط هو الذي ارتكبها ، وان الباقين تستروا عليه . وكان بديهياً أن تتجه شكوكي مباشرة إلى الشخص الذي سمعته بأذني ذات ليلة في القدس يدبر أمر قتلها .

وبعد ان ذكر بوارو ما سمعه في تلك الليلة بالقدس ، إستطرد قسائلاً :

– هذا الشخص هو ريموند بوئتون .

وفتح ريموند شفتيه ليقول شيئاً ، لكنه آثر التزام الصمت ، أما بوارو فقال وهو ينظر في ورقة بيده :

– وقبل ان أستطرد في سرد أدلتي ضد ريموند ، أحب ان أقرأ عليكم هذه النقاط العشر التي لها دلالاتها ، والتي أطلعت عليها الكولونيل كاربري هذا اليوم .

هذه النقاط هي :

١) كانت مسز بوئتون تتناول دواء من مركبات الديجيتالا .

٢) فقد الطبيب جيرار محقناً .

٣) كانت الضحية تستمد سعادتها من حرمان أفراد أسرتها من الاتصال أو التعارف بالغير .

٤) شجعت الضحية ، في عصر ذلك اليوم المذكور ، أفراد أسرتها على الخروج للنزهة في الجبل بدونها .

٥) كانت الضحية سادية التفكير .

٦) المسافة بين حديقة الاستراحة والمكان الذي كانت الضحية جالسة فيه

تبلغ مائتي ياردة « تقريباً » .

٧) قال المستر لينوكس في أول الأمر انه لم يعرف متى عاد إلى المخيم ، ثم اعترف بأنه ضبط ساعة يدها على الوقت المحدد .

٨) كانت خيمة جنيفرا بقرب خيمة الطبيب مباشرة .

٩) في الساعة السادسة والنصف ، بعد ان تم إعداد الطعام أرسل أحد العمال لاستدعاء الضحية .

١٠) قالت مسز بونتون في القدس هذه العبارة « اني لا أنسى أبداً ذكري هذا ، اني لا أنسى شيئاً أبداً » .

ورغم اني وضعت هذه النقاط مفردة إلا اني أستطيع في بعض الأحيان أن أتناول كل نقطتين معاً . مثلاً النقطتان الأوليان « كانت مسز بونتون تتناول دواء من مركبات الديجيتالا » « فقد الطبيب حقناً » ، فقد أثارت هاتان النقطتان شكوكي منذ اللحظة الأولى . وسوف أعود إلى الحديث عنهما فيما بعد ولكني سأفرغ الآن من دراسة الاحتمالات التي تجعل من ريموند المتهم الأول . وهذه هي الحقائق التي يمكن وضعها ضده : فقد سمعته يتحدث مع أخته كارول عن خطة لقتل زوجة أبيه وكان في حالة توتر عصبي شديد كما كان قد مر في ذلك اليوم بلحظة من اللحظات العاطفية القوية .

وهنا توقف بوارو عن الحديث فانحنى لمس ساره وقال لها :

— معذرة يا مس كنج .

ثم استأنف حديثه قائلاً :

. أعني ان ريموند في ذلك اليوم كان قد وقع في شرك الحب . وكان من الممكن أن تدفعه نشوة هذه العاطفة الجديدة إلى اتخاذ أكثر من موقف واحد كان من الممكن ان تهدأ مشاعره وترق نحو العالم كله بما فيه زوجة أبيه ، او ان يستمد من هذا الحب الشجاعة لتحدي زوجة أبيه والتحرر من سيطرتها وسلطانها ، او أن يجد في الحب حافزاً إضافياً يدفعه لارتكاب الجريمة . هذه

كلها جوانب نفسية ، أما الحقائق فهي :

١) غادر ريموند المخيم مع الآخرين في الساعة الثالثة والربع تقريباً .

٢) وكانت أمه على قيد الحياة وفي حالة طيبة .

٣) تحدث مع ساره كنج ، أثناء النزهة ، حديثاً عاطفياً خاصاً ، ثم انصرف عنها .

٤) عاد إلى المخيم بناء على أقواله في الساعة السادسة إلا عشر دقائق .

٥) مضى إلى زوجة أبيه وتحدث معها قليلاً ، ثم هبط إلى حديقة الاستراحة .

٦) يقول ان زوجة أبيه كانت على قيد الحياة في الساعة السادسة إلا عشر دقائق .

ولكننا نعلم الآن حقيقة أخرى تناقض تلك الحقيقة الأخيرة ، ذلك أن مس كنج ، وهي طبيبة مؤهلة على استعداد لان تقسم ان مسز بوئتون كانت ميتة قبل السادسة والنصف بأكثر من ساعة ونصف على الأقل . وعلى هذا ، نجد أمامنا قولين متناقضين . فإذا افترضنا ان المس كنج لم تخطيء

وهنا قاطعته ساره قائلة .

اني لم أخطيء ولو اني أخطأت في تقديري لاعترفت بخطأي .

فانحنى بوارو أمامها إعجاباً وقال :

إذن هناك احتمالان لا ثالث لهما . إما ان تكون مس كنج كاذبة في تقريرها او ان يكون ريموند كاذبا في أقواله .

ولنتناول الآن الأسباب التي تدفع ريموند إلى الكذب على افتراض أن مس ساره لم تخطيء ولم تكذب . فقد عاد ريموند إلى المخيم وذهب إلى زوجة أبيه فوجدها ميتة ، فماذا فعل ؟ هل استغاث ؟ هل ذهب فوراً وأخبر الجميع بموتها ؟ لا . فقد وقف بجانبها متظاهراً بالحديث معها لحظة او لحظتين ، ثم

مر بخيمته وهبط إلى حديقة الاستراحة دون قول شيء. ولا شك ان مثل هذا التصرف يدعو للدهش ، اليس كذلك ؟

فقال ريموند بحدة :

— انه امر مضحك ، لا شك ان مس سارة كانت مخطئة في تقريرها بسبب الظروف القاسية التي مررنا بها.

فاستطرد بوارو يقول متجاهلا الاعتراض :

— إن المرء يتساءل : هل هناك سبب يبرر هذا التصرف : الظاهر ، كما يبدو ، ان ريموند لا يمكن ان يكون جانيا ما دامت أمه كانت ميتة فعلا حين ذهب اليها لأول مرة بعد ظهر ذلك اليوم. فإذا افترضنا انه بريء فما معنى تصرفه ؟ وما معنى قوله ان أمه كانت على قيد الحياة حين ذهب اليها ، بينما كانت في الواقع ميتة ؟

وصمت بوارو برهة ثم استطرد يقول :

— ان التفسير الوحيد لهذا التصرف هو ظنه بأن أخته كارول نفذت خطة القتل بدلاً منه .

فصاح ريموند مرتجفا :

— هذا خطأ .

فاستأنف بوارو حديثه قائلا :

— ولننظر الآن في الاحتمالات التي تجعل كارول هي موضع الاتهام .. فما هي الأدلة ضدها ؟ إنها مثل أخيها كانت تعاني من قسوة زوجة أبيهـــا ، وكانت مثله قد بلغت أقصى حالات التمرد ، ولذا اشتركت معه في تدبير خطة للقضاء عليها باعتبار ان قتل مثل تلك المرأة الشريرة عمل بطولي .. فقد عادت كارول للمخيم في الخامسة وعشر دقائق ، وذهبت للحديث مع أمها هذا ما تقوله هي ، ولكن أحداً في المخيم لم يرها ، كان العمال نائمين ، وكانت الليدي وستولم ، ومس بيرس ، ومستر كوب يشاهدون

منطقة أثرية بعيدة ومعنى ذلك ان الفرص كانت متوافرة جداً لكي تنفذ كارول غرضها .

وهنا رفعت كارول رأسها ونظرت في ثبات وحزن إلى بوارو الذي تابع يقول :

– وفي صباح اليوم التالي ، شوهدت كارول وهي تقذف بعلبة محقن في الجدول :

وعندئذ قال الطبيب جيرار في دهشة :

– كيف يمكن ذلك ، وقد عثرت على محقني بالخيمة في ذلك الصباح ؟

– نعم ، نعم ، ولكني فهمت من أقوال الشاهدة التي رأت كارول ترمي بالمحقن انه نملك مس ساره أليس كذلك يا مس ساره ؟

وقبل ان ترد ساره اسرعت كارول قائلة :

– إن المحقن لم يكن ملكها إنما ملكي أنا .

– إذن فأنت تعترفين انك قذفت به الى الجدول ؟

– صح ، طبعا ، ولماذا أنكر ؟ ولكني لم .. لم ألمس العقار السام .

وعندئذ قالت سارة :

– إن المحقن ملكي أنا يا مسيو بوارو ، وهذا ما قلته للمس بيرس في ذلك الصباح .

فقال بوارو :

– إن الأقوال المتعارضة تملأ النفس بالحيرة والتســاؤل ، ولكن من الممكن تفسير هذا التناقض . إني الآن ، بدافع الانصاف ، سأفترض ان كارول بريئة ، فما هي الأدلة على براءتها ؟ فقد عادت من نزهتها الجبلية للمخيم ، وذهبت للحديث مع زوجة أبيها فوجدتها ميتة ، فخطر ببالها ان ريموند نفذ مخطط القتل ، ولم تدر ماذا تفعل ، ولذا آثرت السكوت . ولما عاد ريموند بعد ساعة وتظاهر بالحديث مع زوجه أبيه ، تأكدت أنــه

مرتكب الجريمة ، ومن ثم دخلت خيمته ، وعثرت على الحقن ، وازدادت تأكداً ، ولكنها أخذت الحقن وأخفته ، وحاولت التخلص منه في الصباح التالي .

وصمت بوارو لحظة ثم قال :

إن هناك دليلاً قوياً جعلني أؤمن ببراءة كارول ، فعندما طلبت منها ان تقسم على براءتها ، بادرت بالقسم المؤكد ، دون أن تتردد لحظة واحدة ..

ووثب ريموند فجأة وقال في تحد .

ــ لا داعي لكل هــذا الحديث الطويل يا مسيو بوارو . إني أعترف الآن انك على حق ، لقد كانت زوجة أبي ميتة فعلا حين ذهبت اليها في السادسة إلا عشر دقائق وقــد صدمت عندئذ ، لأني كنت أنوي مصارحتها بأني قررت الافتراق عنها والزواج من مس كنج .

ولكن عندما وجدت أنها ميتة خطر لي فوراً ، كما قلت ، أن كارول نفذت الخطة ، ولذلك التزمت الصمت ، لا سيما حين رأيت علامة وخز الحقن على معصمها .

فقال بوارو :

ما هي الخطة التي وضعتها للتخلص من زوجة أبيك ؟ يجب مصارحتي بها إذا أردت مني تصديقك .

فأسرع الشاب يقول :

ــ كانت وسيلة قرأت عنها في رواية بوليسية إنجليزية . وتتلخص في أن حقن اي إنسان في الوريد بالهواء ، أي بحقن فارغ إلا من الهواء ، يؤدي إلى وفاته . وقد افتكرت أن هذه أحسن وسيلة علمية ، أنفذ بها خطتي .

فأومأ بوارو برأسه وقال :

ـ آه فهمت . لذلك اشتريت محقناً لهذا الغرض ؟
ـ لا ، سرقت محقن نادين .

فرمقه بوارو بنظرة سريعة وقال :
ـ المحقن الذي كان في حقائب سفرها بالقدس ؟
ـ نعم .
فنظر بوارو اليهم كلهم وقال :
ـ الآن يمكن القول اننا كشفنا غموض ذلك المحقن الذي شوهدت كارول ترمي به إلى الجدول . فقد أخذه ريموند من أمتعة نادين في القدس ، وأخذته كارول من خيمته حين ظنت انه نفذ خطته وعثرت عليه مس بيرس على ضفة الجدول بين المخلفات ، وأخذته منها مس ساره قائلة انه ملكها . وأظنه الآن مع مس ساره .

فردت ساره :
ـ نعم .
ـ معنى هذا انك كذبت علينا حين قلت انه ملكك !
ـ إنها كذبة مختلقة ولا علاقة لها بشرف المهنة
ـ آه ، إني أعرب لك عن إعجابي الشديد يا مس ساره .
ـ شكراً .
وصمت بوارو برهة ثم عاد يقول :
ـ والآن لنعد إلى الاحتمالات التي تدين كل واحد من أفراد الأسرة والى الاحتمالات الأخرى التي تبرئه .

ثم أخذ يتلاعب بالجميع كما يفعل القط بمجموعة صغيرة من الجرذان المذعورة فهو يسوق الأدلة على اتهام لينوكس ، ثم نادين ، ثم جنيفرا ، ثم يعود ويفند هذه الأدلة كلها مؤكداً انه شديد الايمان ببراءتهم جميعاً ، وانه لم يقبل القيام بهذه المهمة إلا ليثبت للكولونيل كاربري براءة أفراد الأسرة من دم

فراح الجميع يتبادلون النظرات ، بينا هتف الكولونيل كاربري قائلا في تجهم وحيرة :
ـ هل في الأمر جريمة أم لا ؟
ـ طبعاً ، يا عزيزي .
ـ حسناً ، إذا لم يكن أحد هؤلاء هو المذنب ، فلا بد ان أكون أنا .
ـ ولا أنت يا عزيزي ، وإنما هو شخص آخر ، شخص آخر تأكدت منه حين سمعت قول مسز بوينتون للمس كنج في بهو الفندق بالقدس :
« إني لا أنسى شيئاً أبداً ، تذكري هذا . لا أنسى قط تصرفاً ولا اسماً ولا وجهاً » .

- ٢٢ -

قال بوارو وهو يتأمل الوجوه المرفوعة اليه في دهشة :

ـ ما هي الحقيقة إذن ؟ إنه سؤال لا بد من الإجابة عليه . لقد أخذ من حقيبة أدوية الدكتور جيرار جزء من عقار الديجيتوكسين السام ، وأخذ منه أيضاً محقن ثم اعيد في الليل او في الصباح الباكر . وهناك علامة وخز ابرة الحقن على معصم يد المتوفاة . ومن المؤكد اننا سنعرف بعد التشريح ما إذا كانت مسز بونتون ماتت متأثرة بسم عقار الديجيتوكسين ام لا . لكن نتيجة التحليل والتشريح قد تأتي بعد فوات الأوان ولذا يجب معرفة الحقيقة الليلة ، بل الآن وقبل ان يفر القاتل من ايدينا .

فرفعت نادين رأسها وردت بحدة :

ـ هل تعني انك لا زلت تظن ان ، ان احدنا .

ـ اني اعتقد ان القاتل هنا ، في هذا الفندق . وسأذكر لكم اسمه بعد قليل بعد ان اقنعكم بادانته بناء على تحليلنا للنقط العشر او جزء منها على الأقل ولنأخذ النقطتين الأولتين : كانت مسز بونتون تتنـــاول دواء من مستحضرات عقار الديجيتالا و « فقد الطبيب جيرار محقنه » .

إن هاتين الحقيقتين تؤكدان ، ظاهريا ، إدانة أحد افراد الأسرة . لكنهما مع التفكير المنطقي ، تؤكدان العكس ، إن سرقة كمية من العقار السام بارعة

في حد ذاتها .. لأن مسز بونتون كانت تتناول مستحضراً خفيفاً من هذا الدواء . فلو اني احد افراد الاسرة ، فماذا أعمل ؟ إن ابسط شيء وابعد شيء عن الشبهات هو وضع الدواء المركز في زجاجة دوائها ، وحين تتناول الكمية المعتادة ، تموت فوراً بالسكتة القلبية .

وبهذا أحقق هدفي دون ان يفطن احد . وحتى إذا فطن احد بأن الزجاجة بها عقار مركز ، فسيسهل على الجاني الزعم بأن الخطأ يرجع إلى الصيدلي الذي اعد الدواء اي انه ليس هناك ما يدعو إلى سرقة محقن او المغامرة بحقن الجني عليها في مكان مكشوف ، إذن فلماذا سرق المحقن من خيمة الطبيب جيرار ؟

هناك تفسيران لهذا السؤال : إما ان يكون الطبيب لم يبحث جيداً عن المحقن بسبب حالة الحمى التي كان يشكو منها ، اي ان المحقن كان موجوداً في الخيمة طيلة الوقت ولم يسرق او ان القاتل سرق المحقن لأنه لم يستطع ان يصل الى زجاجة الدواء ليضع فيها الدواء السام ، وذلك لانه لم يكن واحداً من افراد الاسرة ، وهذا يدل ان القاتـــل شخص خارج نطاق الأسرة ، أي شخص ليس له حق دخول كهف المسز بونتون ، دون ان يلفت اليه الأنظار .

وصمت بوارو قليلا قبل ان يستطرد قائلا :

ـ فمن يكون هذا الشخص الدخيل ؟ انه ليس المستر كوب لأن جميع الأدلة تثبت ان لا مصلحة له في قتل العجوز ، وليست مس ساره ايضاً لانه لا يعقل إطلاقاً ان تلجأ آنسة مثقفه وطبيبة الى ارتكاب جريمة قتل لكي تفسح الطريق امامها للزواج من ريموند ، وليس الدكتور جيرار بطبيعة الحال لأنه كان محموماً وحتى إن لم يكن محموماً فما هي مصلحته الهامة في قتلها ! هذا إلا إذا كان لدى كل منهم حوافز قوية لارتكاب الجريمة ، لا ندري عنها شيئاً .

فابتسم جيرار وقال :

ـ مثل ماذا ؟

ـ انت مثلا . ربما قررت ان تتولى علاج جنيفرا وإنقاذها من المصير الرهيب الذي كانت تنحدر اليه بسرعة . ولكنك رأيت ان العلاج لن يجدي الا اذا ازلت من الوجود السبب في المرض اي انك مثلا ، قررت التضحية بأم عجوز شريرة لإنقاذ إبنة شابة جميلة طاهرة كالملاك .

فابتسم جيرار وقال

ـ يا لخيالك الواسع العجيب يا مسيو بوارو .

فأكمل بوارو كلامه دون ان يحفل به :

ـ لكن اذا كان الطبيب هو القاتل ، فلمـــاذا لفت الأنظار الى احتمال وقوع جريمة حين قرر ان الحقن سرق منه ، وكذلك كمية من العقار ؟ إن هذا الموقف يا اصدقائي لا يتفق مع ابسط قواعد المنطق .

فقال الكولونيل كاربري :

ـ وماذا بعد يا مسيو بوارو ! اليس لهذا الحديث من نهاية ؟

فأومأ بوارو قائلا .

ـ لقد اوشكت على الوصول الى النهاية . ولنأخذ الآن النقطتين الثالثة والرابعة « المسز بونتون تستمد سعادتها من حرمان افراد اسرتها من الاتصال بالغير » ، و « المسز بونتون ، في عصر ذلك اليوم المشار اليه ، شجعت افراد اسرتها على الخروج للنزهة بدونها »

ان هاتين الحقيقتين تتعارضان .. كل التعارض . فلماذا قررت العجوز في عصر ذلك اليوم ان تغير سياستها مع افراد الاسرة فجأة ! لا بد ان هناك سببا ، فما هو ؟

ونظر بوارو الى الجميع متسائلا ، فلما رآهم يحملقون في وجهه صامتين استطرد يقول :

ـ هلم نتعمق نفسية مسز بوئتون كما وصفها بحق الطبيب جيرار . لقد سئمت السيطرة على افراد الأسرة بين جدران قصرها في امريكا ، وقررت ان تغزو آفاقاً جديدة لإشباع حب السيطرة في نفسهـــا ، فقامت بهذه الرحلة الى الخارج وهي مؤمنة بأن هذه الرحلة سوف تزيد من نطاق سيطرتها عليهم ، وتتيح لنفسها من فرص ممارسة طغيـــانها والتحكم في تصرفاتهم . ولكن النتيجة كانت عكسية تماماً . لأنها ما كادت تخرج الى العالم الواسع حتى لمست نباهتها وضآلة شأنها واحتمال عجزها عن القبض على زمام الأمور بين أفراد اسرتها . وهذا يؤدي بنا الى النقطة العاشرة .

فحين ذهبت ساره اليها في بهو الفندق واخبرتها برأيها فيها بكل صراحة تحدثت مسز برنتون بعبارة غامضة ، دون ان تنظر الى ساره ، وانما كانت تنظر الى شخص آخر قريب من المكان ، قالت بالحرف الواحد :

« انني لا انسى ابداً شيئاً . تذكري هذا ، لا انسى تصرفا ولا اسما ولا وجها » .

وصمت بوارو برهة ثم قال للجميع :

ـ هل يمكن لأحدكم ان يفهم دلالة هذه العبارة ، انها طبعـــا لم تكن رداً على حديث ساره ، بل انها لم تكن تنظر اليها وهي تقول تلك العبارات . وهذا يعني انها كانت موجهـــة الى شخص آخر ، وراء مس كنج .

ومرة أخرى أمسك بوارو عن الحديث قبل ان يستطرد قائلاً .

ـ لقد وقعت أنظار مسز بوئتون على ذلك الشخص في أقسى لحظات حياتها ، في اللحظة التي انعقد فيها لسانها من فرط الغضب حين بينت لها مس ساره مدى تفاهتها وضآلة شأنها .

في تلك اللحظة رأت شخصاً آخر يمكن ان يكون ضحية جديدة تمارس فيه نزعتها الشديدة إلى السيطرة والطغيان . وهذا ما يفسر موقفها الغامض

من أفراد الأسرة في عصر ذلك اليوم ، أعني حين طلبت منهم ان يذهبوا جميعاً للنزهه بدونها . .

أتعرفون لماذا ؟ لكي تتاح لها الفرصة للانفراد بالضحية الجديدة التي وقعت بين يديها للانفراد بها والتمتع بتعذيبها . ومن هذه النقطة الجديدة يجب أن نتناول أحداث عصر ذلك اليوم . فقد ذهب أفراد الأسرة للنزه ، وبقيت هي جالسة أمام كهفها

والآن لنتناول أقوال السيدتين : الليدي وستولم ومس بيرس . وإن كانت أقوال مس بيرس لا قيمة لها لأن شخصيتها ضعيفة ومن السهل الإيحاء لها بما يراد منها ان تقول . أما الليدي وستولم فهي واضحة في أقوالها وقوية الملاحظة جداً . والسيدتان متفقتان في أنهما رأتا أحد العمال العرب يقترب من العجوز ويثير غضبها بطريقة ما ، ثم يتراجع مسرعاً حين ثارت عليه ولوحت بعصاها وراءه

وقد قالت الليدي وستولم ان العامل دخل أولاً خيمة جنيفرا ، لكنكم تذكرون ان خيمة الطبيب كانت تجاور مباشرة خيمة جنيفرا ومن المحتمل إذن ان يكون العامل العربي دخل خيمة الطبيب . .

فقاطعه الكولونيل كاربري عندئذ بقوله :

— هل تريد ان تقول لنا ان أحد العمال العرب هو الذي ارتكب هذه الجريمة ! يا للعجب !

فابتسم بوارو وقال :

— مهلاً يا صديقي ، إني لم أفرغ بعد من حديثي . لنتفق ان العامل العربي خرج من خيمة الطبيب . فماذا بعد ؟ إن السيدتين تتفقان في وصفه ، كان مرتدياً عقالاً كالعرب ، وسترة وبنطلوناً من بنطلونات الركوب هذا هو وصف مس بيرس له . أما الليدي وستولم فقد تمادت في وصفه قائلة انه كان مرتدياً بنطلوناً ممزقاً وحزام ساق غير محكم على ساقيه ، ولكنهما لم تستطيعا

أن تتبينا وجهه او تسمعا الحديث الذي دار بينه وبين العجوز لأن المسافة بينهما وبينه كانت نحو مائتي ياردة .

وصمت بوارو لحظة قبل ان يردف قائلا :

ـ فإذا كان من العسير على الليدي وستـــولم ان تتبين وجهه ، فكيف أمكنها ان تلاحظ بدقة عدم إحكام الحزام (القلشين) على ساقيه ؟ أليس هذا عجيباً ومثيراً للتساؤل ؟! لأنها ما دامت لم تستطع أن ترى وجهه بوضوح ولا ان تسمع صوته بسبب طول المسافة ، فإنها على هذا لا تستطيع ان ترى الحالة التي كان عليها القلشين من بعد مائتي ياردة .

لقد كانت غلطة كما ترون . وقد أثارت هـذه الملاحظة تفكيري . لماذا أصرت الليدي وستولم على وصف قلشين ذلك العامل بهذه الدقة ؟ أتراهـــا عملت هذا لأن العامل لم يكن مرتدياً قاشيناً على الإطلاق ؟

لقد رأته كل من الليدي وستولم ومس بيرس ولكن كلا منهما كانت جالسة أمام خيمتها ، وبالنظر إلى هذه الخارطة نرى ان سور حديقـــة الاستراحة يمنع كلا منهما من رؤية الأخرى وهما جالستان أمام خيمتيهما . وقد أكدت الليدي وستولم هذه الحقيقة بقولها انها ذهبت لترى مس بيرس فلقيتها جالسة أمام خيمتها تقرأ . .

أي انها لو كانت تراها من أمام خيمتها ، خيمة الليدي وستولم ، لما كان هناك سبب لذهابها كي تراها . .

فانتصب الكولونيل كاربري في جلسته وقال :

ـ يا إلهي ! أتريد ان تقول ان الليدي . .

فقاطعه بوارو قائلا :

ـ أريد ان اقول ان الليدي وستـــولم ، حين تأكدت ان مس بيرس جالسة مستغرقة في القراءة ، وكانت هي الوحيدة المستيقظة أو الموجودة في المعسكر في تلك الساعة ، عادت إلى خيمتها وارتدت سراويـــل الركوب ،

وسترة خاكية اللون ، وصنعت لرأسها عقالاً ، وما أبسط هـــذا بطبيعة الحال ، واندفعت إلى خيمة الطبيب ، وأخذت الحقن وفحصت حقيبة الادوية واختارت العقار المناسب لتحقيق هدفها ، وملأت الحقن منه ومضت بكل جرأة إلى خيمتها .

واستطرد بوارو قائلاً بعد ان صمت فترة .

– ومن المحتمل ان العجوز كانت غافية في ذلك الحين . ولكن المؤكد ان الليدي وستولم كانت سريعة وحاسمة ، إذ أمسكت بمعصمها ، وحقنتها بالعقار السام . وصاحت المسز بوينتون وحاولت النهوض لكنها تهالكت في مكانها .

وأسرع « العامل العربي » كما بدا لمس بيرس عندئذ ، بالهرب ، والمسز بوينتون تلوح وراءه بعصاها في غضب .

وبعد خمس دقائق تكون الليدي وستولم قد تخلصت من ثياب التنكر وعادت إلى مس بيرس لتعلق على ذلك المنظر وهي واثقة ان تعليقها سوف يترك أثره في نفسية مس بيرس الضعيفة التي تتأثر بسرعة من إيحاءات الغير ، وبعد ذلك ذهبتا للنزهة وقد تعمدت الليدي وستولم ان تقف تحت الجرف الذي تجلس فوقه العجوز لتهتف لها بعبارة ، ولم تتلق أي رد بطبيعة الحال ولكنها تظاهرت بأن العجوز ردت بغمغمة تنم عن قلة الذوق ، وعلقت على هذا أمام مس بيرس المستعدة على ان تقسم بأنها سمعت غمغمة من مسز بوينتون .

هكذا يبلغ ضعف نفسية مس بيرس لقد جربت بنفسي هذا معها حين أوحيت اليها اني عطست أمامها ، وأكدت لي ، انها سمعتني أعطس فعلاً !!

المهم ان الليدي وستولم ، بحكم عملها السياسي ، كانت تعرف حقيقة نفسية مس بيرس ومدى استعدادها لتقبل أي شيء يوحى اليها بـــه . ولكن

المشكلة التي واجهت الليدي وستولم بعد ذلك هي التخلص من الحقن . فقد عاد الطبيب جيرار إلى خيمته بأسرع مما كانت تظن بسبب إصابته المفاجئة بالحمى ، وقد خامرها الأمل في انه لن يلحظ ضياع الحقن حتى تتمكن من إعادته إلى خيمته أثناء الليل او في الصباح الباكر .

وتوقف بوارو عن الكلام . .

فسألته ساره :

– لكن لماذا ؟ لماذا أرادت الليدي وستولم قتل مسز بوينتون ؟

– الم تقولي ان الليدي وستولم كانت جالسة بالقرب منك حين ذهبت وتكلمت إلى العجوز في بهو الفندق بالقدس ؟ إن عبارتها الغامضة لم تكن موجهة اليك ، وإنما إلى الليدي وستولم :

« إني لا أنسى شيئاً أبداً .. تذكري هذا . لا أنسى قط تصرفاً ولا اسماً ولا وجهاً .. »

فإذا علمنا ان العجوز كانت سجانة قبل زواجها ، فيمكنكم ان تستنتجوا الحقيقة فقد تعرف اللورد وستولم بزوجته هذه أثناء عودته بالباخرة من رحلته إلى أمريكا ، وكانت الليدي قبل زواجها مجرمة في أمريكا أمضت بضع سنوات من عمرها في أحد السجون .

وصمت بوارو لحظة قبل ان يستأنف كلامه قائلا :

– ويمكنكم ان تتصوروا الفزع الرهيب الذي ملأ قلب الليدي وستولم حين وجدت نفسها فجأة أمام سجانتها السابقة !

إن كل آمالها وكل شيء عظيم في حياتها أصبح مهدداً في يوم وليلة ، ونحن نجهل الآن السبب الذي من أجله سجنت في أمريكا ، وإن كنا سنعرف هذا بعد يوم او يومين .

ولكن ، أياً كان السبب ، فلا بد انه كفيل بنسف كل ما بنته من مجد سياسي ومكانة إجتماعية رفيعة ، إذا شاع أمره بين الناس .

وتذكروا هذا .. إن مسز بوينتون لم تكن من النوع الذي يهدد من أجل ابتزاز المال . فهي لم تكن بحاجة المال . ولو كانت كذلك ، لاستطاعت الليدي شراء سكوتها .

لكن العجوز كانت من النوع الذي يستمد سعادته من تعذيب ضحاياه وتعريضهم لأقسى أنواع البؤس والشقاء .

ومن ثم أيقنت الليدي انها لن تكون في أمان قط طالما ظلت العجوز على قيد الحياة ..

وهكذا أطاعت أمر العجوز حين طلبت منها ان تلتقي بها في مدينة بترا « وقد عجبت قبل ان أعرف هذه الحقائق كيف تسافر سيدة ذات مكانة إجتماعية كبيرة مثل الليدي وستولم بمثل هذه البساطة » ، ولكنها كانت في ذات الوقت تفكر في طريقة للخلاص من العجوز .. ولما سنحت الفرصة نفذت الجريمة بكل جرأة .

ولكنها ارتكبت خطأين :

الأول : وصفها الدقيق لقلشين العامل العربي الذي أثار شكوكي ، والخطأ الثاني : عندما أخطأت ودخلت خيمة جنيفرا في اول الأمر ، وهي تحسبها خيمة الطبيب جيرار ..

وهذ ما يفسر حديث جنيفرا عن « الشيخ العربي » الذي دخل خيمتها واراد ان يختطفها كما توهمت ..

وبعد فترة صمت اخيرة قال بوارو مستطرداً :

– ولكننا سنعرف الحقيقة بالدليل المادي قريباً جداً .. فقد حصلت على بصمات الليدي وستولم دون علمها ، وأرسلتها إلى إدارة السجن الذي عملت فيه العجوز سجانة ، وسوف نعرف الحقيقة قريباً ، عند مضاهاة بصمات الليدي وستولم ، على البصمات الموجودة في سجلات إدارة السجن

وما كاد بوارو يفرغ من عبارته الاخيرة حتى سمع الجميع دوياً حاداً في الغرفة المجاورة مباشرة .

فهتف الدكتور جيرار قائلا :

— ما هذا ؟

فقال الكولونيل كاربري وهو ينهض مسرعاً :

— إنه دوي طلق ناري .. من المقيم في الغرفه المجاورة ؟

فقال بوارو وهو يبتسم بخبث :

— الليدي وستولم .

الخاتمـــة

وصدرت صحف اليوم التالي في القدس ولندن تحمل هذا النبأ :

« يؤسفنا أن نذيع نبأ وفاة الليدي وستولم عضو البرلمان الانجليزي ، أثر حادث اليم .

« فقد وجدت الليدي وستولم في غرفتها ، في فندق الملك سليمان بالقدس ، مصابة بطلق ناري والمسدس في يدها . . وقد اتضح ان المسدس انطلق أثناء تنظيفها إياه .

« وقـد كانت الوفـاة فورية . . ونحن نتقـدم بالعزاء ، إلى . . الخ ، الخ . . » .

* * *

وفي مساء يوم دافىء من شهر يونيه ، بعد هذه الأحداث ، بخمس سنوات .

كانت ساره وزوجها ريموند جالسين في مقصورة خاصة بمسرح لندن

يشاهدان مسرحية هاملت .

وأمسكت ساره بذراع ريموند ، في تأثر شديد ، حين صعدت إلى خشبة المسرح ، الممثلة الذائعـــة الصيت جنيفرا بونترن ، لتقوم بدور أوفيليا .

وهمست ساره لزوجها :

ـ ما أروعها . ما أعظم عبقريتها لقد صدق الدكتور جيرار حين قال ان جنيفرا ستكون من أعظم ممثلات عصرها .

وفي ساعة متأخرة على تلك الليلة ، بعد انتهاء التمثيل ، كانت جنيفرا جالسة في مطعم سافوي .

فقالت لرجل ملتح بجانبها ، وهو مخرج المسرحية ، وهي تضع على شفتيها تلك البسمة الخالدة :

ـ هل أديت دوري الليلة كما ينبغي يا تيودور ؟

ـ كنت رائعة يا عزيزتي .

وعلى مائدة قريبة ، كان ممثل دور هاملت ، يقـول باكتئاب لصديقته :

ـ إنها رائعة طبعاً .. وإن طريقتها في تمثيل دور أوفيليا تعتبر شيئـاً جديداً في عالم المسرح ..

ولكنها ضيعتني بجانبها ..

وقالت نادين الجالسة أمام جنيفرا على نفس المائدة :

ـ ما أروع وجودي هنا ، في لندن ، وجلوسي مع جنيفرا ، الممثلة الذائعة الصيت !

والتفتت نادين إلى زوجها لينوكس وقالت :

ـ هل يمكن أن ندع طفلينا يشاهدان المسرحية ، في الحفـلة المسائيـة ؟

إنها في السن التي يمكن أن يتعرفا فيها على عمتهما ، وهي على خشبة المسرح !

فرفع لينوكس كأسه وقال بصوت كله السعادة والمرح :

– إلى الزوجين الجديدين .. مستر كوب وكارول .

وضحكت كارول ..

ثم قالت لزوجها جيفرسون كوب :

– جيف .. يحسن أن تشرب ، نخب غرامك الأول ، أيها الغادر ؟

فقال ريموند ضاحكاً :

– إن صاحبنا جيف يشعر بالخجل .. ألا ترون احمرار وجهه ؟ يبدو انه لا يحب أن يذكره أحد بما مضى ..

وفجأة ، إكتأب وجهه ، وبدا عليه كأنه يرى حلماً قديماً مزعجاً ، حين شاهد مسيو بوارو ، يتقدم نحو جنيفرا ، وينحني على يدها مقبلاً ويقول :

– تحياتي إلى أعظم فنانة في هذه البلاد .

وحياه الجميع بحرارة وأفسحوا له مكاناً بينهم .

وتلفت بوارو حوله ..

ثم ارتسمت على وجهه ابتسامة عريضة ، وانحنى على ساره ، وقال لها هامساً :

– يبدو ان كل شيء على ما يرام مع أفراد أسرة بونتون .

فأجابته :

– الفضل لله ولك يا مسيو بوارو ..

– لقد أصبح زوجك رجلاً مشهوراً .. قرأت ما كتبه المعلقون والنقاد عن كتابه الأخير .

قالت :

ـ إنه عبقري بلا شك .. هل تعلم أن كارول وكوب استطاعا ان يكونا أسعد زوجين ، رغم ما كان من حب كوب لنـــادين أولاً .. ولعلك لم تعلم ان نادين أطلقت لنفسها حرية الحل ، وأصبح لها الآن طفلان جميلان جداً .. أمـــا جنيفرا .. فها هي كما تراها .. عبقرية وشهرة ونجاح .

